العلاقات السياسية بين يوسف بن تاشفين وملوك الطوائف في الاندلس (478-500ه/1084-1106م)

أ.م.د.عمار عبد الرحمن حسين
كلية العلوم/ الجامعة المستنصرية
Ammarme74@uomustansiriyah.edu.iq

مستخلص البحث:
تعدّ العلاقات السياسية لابن تاشفين وملوك الطوائف في الأندلس والتي بدأ تأثيرها منذ العام(478ه/1084م) من اهم الأحداث في الفترة المذكورة لما شهدته من أحداث وحركات عسكرية وسياسية وتأثير ذلك على الساحة الأندلسية بصورة خاصة. وكذلك العلاقات مع ملوك النصارى والذين كانوا يحاولون إنتهاز اي فرصة للانقضاض والسيطرة على الأندلس، ولعل يوسف بن تاشفين وبانتصاره في معركة الزلاقة قد حد من هذه الطلعات، ولكنهم كانوا دوما متربصين، وكذلك تعدّ مرحلة السيطرة على الأندلس، وتقسيم الولايات إلى ست ولايات رئيسة قد أوضح قوة وسيطرة بن تاشفين في الأندلس كيف اخضعت ملوك الطوائف وسيطر على المدن الأندلسية لتنتهي هذه العلاقات السياسية في العام (٥٠٠ه/١١٠٦م) وهو عام وفاة يوسف بن تاشفين.

الكلمات المفتاحية: العلاقات السياسية، يوسف بن تاشفين، ملوك الطوائف، الاندلس

المقدمة:

إنّ استنجاد أمراء الطوائف بالمرابطين قدمه السبيل لربط علاقة سياسية بين الجانبين: المرابطين بزعامة يوسف إبن تاشفين وملوك الطوائف بزعامة المعتمد بن عباد. هذه العلاقة تحكمت فيها عدة ظروف بعضها مرتبط بالمغرب وأكثرها يتعلق بالاندلس. وقد تطورت هذه العلاقة من مجرد انقاذ أمة من اندثار محقق الى إقصاء الطوائف من إمراتهم وضم الاندلس المسلمة الى الدولة المرابطة وان تدخل المرابطين في الاندلس يمثل إحدى الفترات التأريخية الهامة التي طبعت تلك العلاقة بطابع خاص فمن خلال هذا التدخل أستطاع المغرب أن يفرض وجوده الايجابي على الساحة الاندلسية لوضع الحد ولو بصورة مؤقتة لبعض الأضطرابات الداخلية والهجومات المسيحية الخارجية التي لازمت ولفترة طويلة تأريخ الاندلس المسلمة.لذلك يعدّ هذا التدخل من اهم الفترات التاريخية التي خلقت منعطفا" جديدا" في تاريخ الغرب الاسلامي خلال العصور الوسطى. غير أن أخطر ما تتميز به تلك الكتابات هو التحيز والتعصب والتحامل وغيرها من التعابير لا من جانب الكتاب الاوربيين فحسب بل ومن جانب الكتاب العرب ايضا" ولاشك ان السبب في ذلك يرجع الى الزاوية التي ينظر منها كل مؤرخ الى تلك الفترة والى إنسياق بعض الكتاب مع روايات بعض المصادر الاخبارية فمن الملاحظات المنهجية الاساسية التي تطرح عند الحديث عن العلاقة السياسية بين يوسف ابن تاشفين وملوك الطوائف هي إن الاخبار التي اوردتها المصادر التاريخية عن هذه العلاقة متناقضة وتتخللها الاحكام المختلطة. هذا وتجدر الاشارة الى ان معظم المصادر التأريخية التي ارخت لهذه العلاقة قد كتبت في العصر الموحدي فلا يستبعد أن تكون الايدلوجية الموحدية الناهضة للمرابطين قد

أثرت على موضوعية تلك المصادر وجعلتها تشدد النكير على المرابطين بصفة عامة ويوسف إبن تاشفين بصورة خاصة. فأذا تصفحنا بعض من تلك المصادر سنجد بأن الروايات التي أوردتها يطغى عليها الطابع المركزي الأندلسي فهي تقلص من أهمية الدور المرابطي وتركز على اهمية الدور الأندلسي ونفس الشئ يقال عن المستشرقين الذين كتبوا عن المرابطين لان كتاباتهم يطغى عليها طابع التحامل. غير إن تلك الكتابات سواء منها الأجنبية أو العربية لها قيمتها لكن بعد تمحيص ونظر وكذلك الشأن بالنسبة للمصادر التاريخية فلا مناص منها لمعرفة تاريخ تلك العلاقة السياسية الا ان تاريخ تلك العلاقة لا زال يكتنفه بعض الغموض فهو بحاجة الى كثير من البحث المعمق والمجهود العلمي. ومن هذا المنظور وجهنا إهتمامنا الى دراسة تلك العلاقة محاولين توضيح الظروف التي تحكمت في ايجادها وأهم المراحل التي مرت بها في تطوره.

أما محتوى هذا البحث فقد قسمناه الى أربعة فصول: -

المبحث الاول/ تناولنا فيها الاوضاع الداخلية للاندلس في عهد ملوك الطوائف وإنعكاس هذه الاوضاع على علاقة البلاد مع الجيران.

المبحث الثاني/ فقد خصصناه للحديث عن الظروف التي حتمت على أمراء الطوائف الاستنجاد بالمرابطين ومن خلال هذه الظروف حاولنا إبراز ذلك الحدث التاريخي المخزن الذي جعل أمراء الطوائف يستعجلون ويلحون في طلب الانجاد من يوسف ابن تاشفين هذا الحدث التأريخي هو سقوط طليطلة.

المبحث الثالث/ فقد تعرضنا فيه عن تدخل المرابطين في الاندلس وتصديهم للزحف المسيحي في موقعة الزلاقة الشهيرة وما كان لهذا النصر الذي احرزه المسلمون على النصارى في هذه الموقعة من نتائج بالنسبة للمرابطين. ثم بالنسبة لأمراء الطوائف والوجود العربي الاسلامي بالاندلس واخيرا بالنسبة للمسيحيين أما بالنسبة:

المبحث الرابع/ هو الفصل الاخير من هذا البحث فقد تعرضنا فيه الى ذكر العوامل التي دفعت بيوسف بن تاشفين الى ضم الاندلس المسلمة الى الدولة المرابطية وكذلك الخطة التي أتبعها إبن تاشفين في عملية الضم تلك وقد أنهينا هذا البحث بخاتمة حاولنا فيها الادلاء ببعض الاستنتاجات حول تلك العلاقة السياسية بين يوسف بن تاشفين وملوك الطوائف وحاولنا من خلال هذه الخاتمة طرح التساؤل التالي:-

الم يكن قرار ضم الاندلس الى الدولة المرابطية قد خطط له منذ البداية من طرف يوسف بن تاشفين وأن هذا الاخير انما كان ينتظر المناسبة المواتية لتنفيذ قراره؟

المبحث الاول

الاوضاع الداخلية للأندلس في عهد ملوك الطوائف وأنعكاسها على علاقة البلاد مع الجيران

Chapter One

The internal situation of Andalusia during the reign of the kings of the sects And its reflection on the country's relationship with neighbors

المطلب الأول: العلاقة بين مختلف فئات المجتمع الأندلسي في هذه الفترة.

1-علاقة امراء الطوائف فيما بينهم:

والذي بدأ منذ العام 422ه/1031م عندما اعلن الوزير ابو الحزم بن جهور سقوط الدولة الاموية بالاندلس لتقوم على انقاضها كيانات سياسية سميت بملوك الطوائف ليظهر بنو زيري في غرناطة وبنو الافطس في بطليوس وبنو عباد وباشليه وغيرهم. وامتد عصر ملوك الطوائف اكثر من نصف قرن (422-487 ه/1031/1094 م) ويعتبر من اكثر العهود تعقيدا" ففيه انقسمت بلا الاندلس الى 22 دولة وطائفة.لم يستطع ملوك الطوائف تجاوز خلافاتهم الحادة وجمع ارائهم على ضرورة توحيد البلاد كما قل رد فعل ضد الزحف المسيحي الذي اصبح يهددهم ويفرض عليهم شراء أمنهم بالمال والارض[1]. وقد كانت أزمة الوحدة بين الامارات المسلمة في هذه الفترة تشير الى " أن من المستحيل راب صدعها وجمع شملها واعادتها الى سالف عهدها"[2]. والحقيقة أن عملية انهاء الخلافات بين ملوك الطوائف كانت عملا" صعبا" جدا" نظرا" لوجود عاملين من عوامل التفرقة:

الاول داخلي: ويتعلق بالتنافس بين ملوك الطوائف[3] ويحتاج الى تنازلات من طرف ملوك الطوائف عن افكارهم المتشيعة بتحقيق الملك الواسع والتفرد به.

والثاني خارجي: يتمثل في تنحية التفرقة والانشقاق بين المسلمين من خلال نهج الحيل والمكر الذي سلكه المسيحيون من أجل إضعاف قوة المسلمين[4].

فيما يخص العامل الداخلي كانت رغبة الاستئثار بالحكم والسيطرة عليه قد وصلت في ها العهد الى مستوى يمكن أن تبعث فيه الرغبة بكونها تفتقر الى ما يضمن لها التحقيق فبالنسبة للكثير من الامارات كان يستحيل بلوغها لذلك الهدف ونعني به القبض بزمام الحكم إعتمادا على امكانيتها سواء برقاعها الاقليمية او مواردها المادية[5].

أما بالنسبة للأمارات القوية كأشبيلية وغرناطة وطليطلة والتي كانت تتوفر على امكانيات تؤهلها توحيد الاندلس تحت حكمها فأنها كانت تعيش منافسة حادة

(1) الشيخ احمد بن محمد المقري اللمساني: نفح الطين من غصن الاندلس الرطيب (المجلد السادس) ، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد (دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ص 92.

(2) عبد الكريم التواتي: مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس (مكتبة الرشاد، الدار البيضاء ص278.

(3) عبد الواحد المراكش: المعجب في تخليص اخبار المغرب ضبطه وصححه وعلق حواشيه وأنشأ مقدمته محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي (ط:7-1978 الدار البيضاء ص105.

(4) عبد لكريم التواتي: مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص281

(5) عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي (ط:2:-1962 مكتبة الخانجي القاهرة ص418.

وهذا لا يعني أن الامارات[1] ومتواصلة في بعض الاحياء حول الزعامة الضعيفة لم يكن لها دور في هذه المنافسات القوية فقد كانت وضعيها الضعيفة تفرض عليها أما التحالف مع إمارة قية طوعا" او الدخول تحت حكمها كتابع ومن ثم تلزمها هذه الوضعية كحليف أو خاضع بأن تدخل الحرب الى[2] لا بالقوة بجانب الامارات القوية.

تأثير دخول هذه الامارات الحليفة الحرب كان مزدوجا" فمن جهة يجعل الحرب تشمل مناطق واسعة من الاندلس ومن جهة ثانية يزداد عدد المتصارعين عين وتضاعف حدة تنافسهم، وفي هذا يقول ابن الخطيب (وجعل الله بين أولئك الامراء من التحاسد والغيرة مالهم يجعله بين الضرائر المترفات والعشائر المتغايرات فلم تتصل لهم في الله يد ولا نشأ على التعاضد عزم، أن مدى الكراهية والحقد بين ملوك الطوائف والتغاضي عن تجاوز الخلافات بلغ الى درجة إنهم كانوا لا يترددون في التنكيل بمنافسهم من المسلمين وتشويه جثثهم وقد تدفعهم الرغبة في ذلك الى بذل الاموال مقابل الظفر بالخصوم، يقول المراكشي في معرض حديثه عن إبن عمار لما كان هذا الاخير اسيرا" عند صاحب شقورة إبن مبارك فلما رأى ابن عمار ذلك منه.

قال له: لا عليك ان تكتب الى ملوك الطوائف... فمن كانت له رغبة جعل لك مالا" ووجهت بي اليه. ففعل ابن مبارك ذلك فما عرضه على احد من ملوك وربما لم تكن من القوات التي يستمدها هؤلاء[3] الاندلس 81 رغب فيه المتنافسون من الامارات الحليفة او الخاضعة كافية لتعويض القوة المستنزفة في الحروب المستمرة او انها لا تحقق الطموح الاخير في القضاء المبرم والنهائي على منافسيهم عندئذ تكون الضرورة ملحة لديهم لإقامة تحالفات مع المسيحيين وطلب العون العسكري منهم مقابل شروط قاسية كالتنازل عن كما كان ملوك الطوائف[4] الاراضي الاسلامية او تقديم المبالغ المرتفعة يسارعون لايواء الامراء المسيحيين الفارين من أإزمات الحكم التي كانت تعرفها الممالك النصرانية كما وقع لابناء فردناند[5]. وكان أمراء الطوائف يهدفون من خلال ذلك ذلك الى كسب تأييد ومساعدة أولئك الامراء المسيحيين عندما يسترجعون الحكم.

الا انه سيتضح ان تصرف امراء الطوائف بتلك الطريقة مع الفارين من ازمات الحكم المسيحيين لم يكن سليما بالنسبة لهم لا بالنسبة لغيرهم من أمراء المسلمين خاصة لما شعروا بالانعكاس السلبي لذلك التصرف عليهم بحيث استغل الامراء المسيحيون تلك الفرصة لمعرفة نقط الضعف والقوة في صفوف المسلمين اثناء اقامتهم بالاراضي الاسلامية فجعلوا تلك المعرفة في خدمة حروبهم الاستردادية لا سيما بعد ان تحالف الامراء المسيحيون الذين كانوا اعداء بالامس للقضاء على مسلمي الاندلس[6].

---

(1) يوسف إشباخ: تأريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ترجمة عبد الله عنان: (الطبعة الثانية 1958 مؤسسة الخانجي القاهرة ص50، 51).

(2) ليقي بروقنشال: حضارة العرب الاندلس ترجمة قرقوط ص23.

(3) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص182.

(4) المقري: نفع الطيب، الجزء ص 92.

(5) أشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص51.

(6) التواتي: مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص281.

لم يكن امراء الطوائف مقتصرين على الحرب فيما بينهم كوسيلة لإحراز النصر والقضاء على الخصوم للظهور بمظهر المقتدرين عل جمع شتات المسلمين بل عمد الكثير منهم الى إكتساب التعاطف الشعبي سواء محكميهم لدى رعايا المسلمين والعزوف عن حياة الملك والرئاسة كما فعل (أبن جهور) الذي كان يقول اذا سئل عن مال " ليس لي عطاء- ولا منع هو للجماعة وأنا أمينهم "[1] الا انه سيتضح من خلال توزيع المناصب المهمة في قرطبة بين ابناءه أن تظاهرة بحب المصلحة العامة والمراقبة الجماعية لشؤون الحكم الذي سنه في قرطبة عند زوال ال مروان عنها لم يكن سوى وسيلة للتمهيد للحكم والقبض بزمام الامور بقرطبة يقول المراكش (فلما خلالة الجو 000وثبة عليها... [2] فتولى امرها في حين التجا اخرون الى حيل واكاذيب روجوا لها بين العامة والخاصة لاثبات اولويتهم)ومشروعيتهم في تولية الحكم وذلك من خلال ادعائهم بانهم مخصوصين بحكم الاندلس وتسيير شوونة بناء على وصايا وتفويضات من طرف احد الخلفاء[3] الذين اغتصب منهم السلطة هو هشام المؤيد[4] نلاحظ كيف ان هولاء الامراء الذين اختلفو هذة الأكاذيب. كانوا يهدفون الى استغلال شعبية (هشام المؤيد)لدئ العامة التي كانت ترئ فية القائد الشرعي للاندلس وكان امراء الطوائف اضافة الئ اعتمادهم علئ القوة العسكرية ومحاولة اكتساب المشروعية لتحقيق سلطتهم علئ الاندلس يعمدون الئ الاستيلاء علئ المدن التي يرونها مهمه لتوطيد الحكم لصالحهم لذلك كانوا يتنازعون عل تلك المدن. وقد لايخفى التاثير الايجابي لامتلاك مدينه ذات ماضي سياسي كبير من لدن اي امير علئ مكانتة بين سائر ملوك الاندلس في اعين الخاصة والعامة وقد كانت قرطبة تخطي باكبر قدر من الاهتمام من طرف ملوك الطوائف نظرا لما تمثلة من مركز سياسي كبير عبر مراحل طويلة من تاريخ الاندلس المسلمة للذلك فقد شهدت عدة صراعات في هذا العصر لان كل متنافس يرغب في تدعيم مركزة السياسي بضمها لامارته وهكذا استطاع (بنو عباد) الاستيلاء عليها من (بني جهور)عن طريق الكيد والخديعة[5] بعدما كانت مشرفة على الوقوع في يد (بني ذي النون) وبعد ذلك عرفت مرحلة طويلة من الصراع بين امارتي اشبيلية وطليطة النون)وبعد ذلك مرحلة طويلة من الصراع بين امارتي اشبيلية وطليطة[6] واخيرا اصبحت تابعة لاشبيلية الى ان دخلها المرابطون.

ب)اما العامل الخارجي الذي كان يكرس وضعية الصراع والتنافس بين الامارات المسلمة فكان يتمثل في سياسة الخدعة والكيد التي عمل امراء المسيحية

---

(1) ابن عذاري المراكشي: البيان المغربي في اخبار الاندلس (الجزء 3 الطبعة الثانية 1400 ه – 1980 م) تحقيق ومراجعة ج.س.كولان وا.ليفي بروفنسال. دار الثقافة. بيروت – لبنان ص 168.

(2) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص41.

(3) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب ج3، ص198.

(4) هو هشام بن الحكم: تولى سنة 366 ه وهو ابن عشر سنين مما تسبب في قيام عمه بالمطالبة بالحكم الا ان (المنصور بن علي ابن ابي عامر ناصر هشام وقضى على مؤامرات خصومه وبقي المنصور حاجبا" لهشام ومديرا رئيسيا للحكم وخلال الفتنة بالضط في عهد سليمان المستعين غاب عن الناس خبر المؤيد) البيان المغرب ج 4 ص 144.

(5) ابن عذاري: البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ج3 ص 25.

(6) أشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص53.

على انجاحها بين صفوف المسلمين بحيث كانت دسائسهم التي استطاعو بثها بين ملوك الطوائف من خلال تدخلهم كحلفاء في صراعات فيما بينهم تحول دون تقارب وتماسك المسلمين وتسبب في اضعاف مركزهم وتتضح عملية الكيد للمسلمين بصورة جلية عند الفونس السادس الذي استطاع ان يباعد بين الامارات المسلمة (بعد صرفة وجوة الكيد اليها وتضريبة بين ملوكها وروسائها بمكرة واستعمالة في امرها حيل فكرة[1]. ان العمل على تباعد سياسة الامارات المسملة يعتبر بالنسبة للممالك المسيحية جزء من مشروعها الاسترادادي للاندلس خاصة وانها توصلت الئ القضاء علئ خصوماتها ذلك ام الممالك النصرائية نبذت

عندئذ كل خصوماتها ومعاركها التي كانت فيما مضئ تشل قواها واخذت تسدد كل قواها مجتمعة ضد اعداء النصرانية[2]

2)تاثير سياسة ملوك الطوائف علئ المواطنين: كان لكثرة الحروب التي عاش اهل الاندلس ظروفها القاسية منذ عهد الفتنة[3] واستمرت بحد مع عصر الطوائف اثر كبير في شفاء الناس لكونها كانت تسبب في اتلاف المحاصيل الزراعية والغلات وتستزف اموال المسلمين من خلال نفقات الجيش ومغرويات المرتزقة كما انها تسبب في هلاك المسلمين[4] ولكون هذة الحروب لاتستند الي مبررات كفيلة بان تجعل الرعية تتقبل تلك الانعكاسات السلبية الناتجة عنها السياسات الحربية التي انتهجها ملوك الطوائف من اجل التوسع علئ حساب الجيران وهو الامر الذي لايتحقق بتوفير القوة العسكرية الضخمة وهكذا يتضح ان رغبة اولئك الامراء في الظهور بمستوئ الحكام الاقوياء عسكرياء كان يتم علئ حساب امن افراد الشعب ومستوئ عيشهم لكن تدمر المواطنين من حكامهم ربما كان لايتخذ شكلا من ظل طغيان الطوائف كثيرا من ظروف الاضطهاد والظلم[5] وقد عمد امراء الطوائف الئ اظهار قساوتهم للرعية من خلال التنكل بمن ظفروا بة من المنافسين امام الملا[6]، ولذلك فان خوف الرعية من بطش الامراء كان يجهض اي فكرة للتمرد لدئ افراد الشعب وبالتالي يفرض عليهم التظاهر بالطاعة والامتثال. إذا كان لمنحة الحروب الطويلة أثرها السلبي على علاقة الحكام بالرعية في عهد الطوائف، فأن الامر لا يختلف عندما نتحدث عن ثقل الضرائب التي فرضها أمراء الطوائف خلال هذا العهد فقد تعددت المتطلبات التي من أجلها تنفق الاموال الكثيرة فكانت توجد نفقات الجيش والمرتزقة ونفقات القصور ومن الأمثلة على نفقات القصور الضخمة يقول المقري (وقد حكى إبن عبدون في شرح العبدونية إن المأمن بن ذي النون صاحب طليطلة بنى بها قصراً تأنق في بنائه) الماء الى رأس القبة على تدبير احكمه المهندسون[7]، كما كانت هناك الاموال التي كانت تقدم للامراء المسيحيين كجزية. هذه الاموال كانت

(1) المقري: نفع الطيب ج:66 ص: 86.
(2) أشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص 68.
(3) على اثر ارغام عبد الرحمن بن شنجول ابن ابي عامر لهشام المؤيد لموليه العهد من بعده، تخلى عنه (اي شنجول) فقتل، وتلى ذلك عهد من الصراع والفتنة.
(4) أبن عذاروي: البيان المغرب ج ص 271 و272.
(5) عبيد الله عنان: دول الطوائف، منذ قيامها حتتى فتح المرابطي ص421.
(6) أشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص 54.
(7) المقري: نفع الطيب الجزء السادس ص 85.

تستخلص من الضرائب الغير شرعية لانها لا تستند الى أساس ديني وهي مستحدثة في هذا العصر وتقوم على الابتزاز ويقول ابن حزم في ذلك. واما اليوم فانما هي جزية على رؤوس المسلمين يسمونها بالقطيعة ويؤدونها مشاهرة وضريبة عل اموالهم من الغنم والبقر والدواب والنحل[1]. وهكذا اصبح افراد الشعب الاندلسي يمولون مشاريع حكامهم في شن الحروب بينهم وتشييد قصورهم الضخمة وابرام الصلح مع الامارات المسيحيية. وكانت الرعية تتطلع الى رفع ها الثقل الكبير عن كاهلها وجعل حد للابتزاز وجشع حكامها المفرط ولكي يضفي امراء الطوائف طابع المشروعية على تصرفاتهم الجائرة في حق الشعب فانهم عملوا على اكتساب تأييد الفقهاء الذين كانوا أكبر عصر لامراء الطوائف في تبرير طغيانهم وظلمهم[2]. والحقيقة ان تزكيه الفقهاء لتصرفات أمراء الطوائف الجائزة لمكن تقتصر على علاقة الحكام بالرعية، وأنما تعدت ذلك الى علاقة امراء الطوائف بالنصارى وخاصة فيم يتعلق بلتنازل لهم عن الحصون[3]، بين فيما يخص ممتلكات المسلمين أثار لا تقل أهمية عن أزمات الحروب، وثقل الضرائب في فقد الرعية للثقة بحكامها والسخط عليهم فالتخلي عن ثغر او حصن للنصارى ليس له مبرر لا على مستوى الدين ولا على مستوى المصالح والمبادئ الوطنية. وانما هو اجراء تمليه الرغبة في الابقاء والمحافظة على مكانة هؤلاء الامراء وما الفوه من حياة البذخ والترف او من اجل تحقيق التوسع على حساب إمارة مجاورة او اكثر.. فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنونهم من صدم المسلمين.. وربما اعطوهم المدن والقلاع طوعا" فأخلوها من الاسلام[4]. ولم تكن عمليات التضحية بممتلكات المسلمين من إختصاص الامراء الضعفاء فقط كمحاولة منهم لدفع خطر الاعداء وهو مالم يستطيعوا بلوغه اعتمادا على قوتهم بل نجد امراء اقوياء سجل التاريخ ضدهم مواقف التخاذل عن نجدة حرمات المسلمين كما هو الحال عند سقوط طليطلة في يد الفونس السادس وتخلف اغلبية الامراء عن مساعدة اهلها، بل كانت المعتمد بن عباد وهو اشجع القوم وأكبرهم مملكة[5] قد وافق على احد بنود معاهدة التحالف بينه وبين الفونس الفونس السادس على أن لا يعترض المعتمد لعملية الاستيلاء على طليطلة حين ينوي الفونس غزوها[6]. وقد كان المعتمد بالفعل وفيا" لحليفه في تعهده بحيث انه انه لم يتدخل لمناصرة طليطلة عندما شرع الفونس في محاصرتها مع إنه كان اول مطالب بالتدخل نظرا" لما يتوفر عليه من قوة نلاحظ مما سبق ذكره ان السياسة التي نهجها أمراء الطوائف لم تكن لترضي مواطنيهم "وقد كانت سياستهم الداخلية لهذه مثل سياستهم الخارجية"موضع السخط من شعوبهم[7] فسواء تعلق الامر بالاجراءات التي تنعكس سلبيا" بطريقة مباشرة على الشعب مثل الضرائب الغير شرعية الحروب الدائمة وما يترتب عنها من انعدام الامن

(1) عبد الله عنان: الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ص 419.
(2) نفس المرجع ص 421.
(3) ابن عذاري: البيان المغرب الجزء: 3 ص: 103.
(4) عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ص4222 نقلا عن قوله لابن حزم.
(5) المقري: نفع الطيب ج، ص 86.
(6) ابراهيم محمد الجمل: امير المسلمين يوسف بن تاشفين، نشر دار الشعب ص 10.
(7) عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ص419.

واتلاف الغلات والمحاصيل او تعلق الامر بالاجراءات التي تمسهم بطريقة غيرمباشرة كتسليم الحصون للنصارى التنكيل بالمنافسين وتشويه جثثهم، وما تخلف هذه الاعمال الدنيئة في نفوس ابناء الشعب الاندلسي من أثر سيء فأن كل ذلك سيجعل افراد الشعب يتطلعون بصورة دائمة ال بديل لتلك الزعامات القاصرة عن تحقيق الامن لهم والجائرة في حقهم..

3- انعكاس هذة العلاقة علئ احوال المسلمين بالاندلس خلال هذةا الفترة:

لقد اصبحت وضعية مسلمي الاندلس خلال هذا العصر متسمة بالتفرقة اذ ان البلاد قد تجزات الى دويلات متعددة ومتناصر كلا منها تحت قيادة امير واذا حدث ان تكونت وحدة بين بعض هذة الكيانات المجزئة فانها لم تكن لتبشر بما يصلح امر المسلمين ونعني بة السير نحو الوحدة الشاملة بحيث كانت بعض هذة التكتلات تقرضها فقط رغبة الامراء الاقوياء في ضم ماامكن من الامارات اما عن طريق الاخضاع بالقوة او التحالف بمقتضئ معاهدة وقد كانت هذة الخطة معتمدة بالخصوص من طرف كل من المعتمد بن عباد (431- 488 ه)(1040-1095م) والمامون بن ذي النون لتقوية مكانتها العسكرية[1] في حين كان البعض من هذة التكتلات تميلة الضرورة لمدافعة اطماع المنافسين الاقوياء كالتحالف الذي كان يجمع بين بنو برزال والحموديين وبنو زيري اصحاب غرناطة لمواجهة الاشبيليين[2] في كلتا الحالتين يتضح انة ينعدم الدوافع الايجابية والمعقولة لقيام مثل هذة التكتلات بدور فعال في جمع كلمة مسلمي الاندلس ان مقومات الدين وعوامل المصلحة المشتركة بين ملوك الاندلس المسلمة لم يعدلها اي دور في ردع الصراعات بينهم وكيف للدين او المصلحة المشتركة ان تتحكم في السلوكيات من لم يعد الا مجرد الة صماء لا يومن الا بالدوران حول انانيته ومكاسبة الخاصة والعاجلة[3].ولا يثنيه اي شي عن تحقيق أغراضه بوسائل مختلفة وقد كان اخطر انعكاسات هذا العصر علئ المسلمين هو التخاذل عن مواجهة العدو بحيث حب الله تعالى علي اهل التغور من الجبن عن العدو ما لا كفاء له فلا يكاد اخذ منهم يلقى نصرانيا في قرار من الارض الا ويوليه الدبر غير مستحي من الله سبحانة[4] كما كثرت الخيانة بين المسلمين فاصبحوا يكشفون يكشفون عن نقط ضعف اخوانهم للنصارئ ويرشدنهم للاطباق عليهم[5] واذا كان كان هذا يدل علئ تدهور المستوئ المعنوي والاخلاقي فان نفس الامر يلاحظ بالنسبة للوحيد البشري والمادي لاهل الاندلس المسلمة بحيث كان استنزاف ارواحهم وهلاك غلاتهم مستمرا بسبب الحروب الطويلة بينهم[6].

(1) أشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص 47.
(2) نفس المرجع ص48.
(3) التواتي: مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص277.
(4) ابن عذاري: البيان المغرب، الجزء 3 ص 280.
(5) نفس المصدر ص 283.
(6) ابن عذاري: البيان المغرب ، ج3، ص278

المطلب الثاني: انعكاس هة الوضعية علئ العلاقة مع الجيران:

1-العلاقة مع يوسف ابن ناشفين:

ولد يوسف بن تاشفين حوالي سنة (400ه – 1009 م) بمضارب صناجة الجنوب ونشأ في بيت علم وفروسية وفي سنة 453 ه تولى قيلدة دولة المرابطين.

لقد لعب الموقع الجغرافي لكل من بلاد الاندلس والمغرب دورا مهمها في تحديد العلاقة بين المنطقتين عبر التاريخ ذلك ان التقارب الجغرافي من حيث الموقع كان يدفع بكل من بسط نفوذة علئ احد البلدين من اصحاب السياسات المتضاربة الئ اعتبارهم الضفة المقابلة خطة اساسية في استراتيجة الدفاع عن المكتسبات وفي هذا الاطار تدخل صراعات امويي الاندلس مع الفاطميين وكذلك احتلال البرتغال والاسبان للشواطئ المغربية[1]. واذا رجعنا الى البحث عن العلاقة بين المنطقتين اثناء الفترة التي تخص بحثنا نلاحظ انة قد وجد العامل المتحكم ي قتل تلك العملية (اي عملية ضم الضفةالمقابلة) ونعني بهذا العامل تباعد السياسات، فالمغرب قد استكمل وحدتة السياسية تحت قوة لها اسس ومنطلقات دينية كالجهاد في سبيل اللة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجمع كلمة المسلمين[2]. وهي مبادئ ابتعد عنها ملوك الاندلس المسلمة كثيرا بحيث مالو الي التفريق والخيانة فيما بينهم والجبن امام اعدائهم وكانو يبادرون الى بذل والتنازل عن الممتلكات مقابل تحقيق الامن والسلم مع النصارئ عوض ان يفرضوه بواسطة القوة. ما كان مؤكدا" هو استحالة اي امتداد لنفوذ اصحاب الضفة الشمالية ونقصد بهم ملوك الطوائف، نظرا" لا وضاعهم المنهارة داخليا" من جهة ومن جهة ثانية نظرا" للضربات القوية التي كانوا هدفا" لها من طرف المسيحيين فيحين توفرت لدى اهل الضفة الجنوبية ونعني بهم المرابطين، ما يكفي من العوائل الحافزة عل العبور الى الاندلس وبسط نفوذهم عليها، فعلى المستوى الديني نجد ان مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وحده كان كافيا" ليفرض عليهم العبور الى الاندلس لاصلاح ذات البين بين المسلمين وتصبح المسألة اكثر الحاحا" عندما يضاف الى المبدأ الاول " الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " مبدأ اخر وهو الجهاد ضد النصارى.كما إنه من الناحية العسكرية كان المرابطون قادرين على القيام بهذه المهمة لكونهم اكتسبوا اثناء إخضاعهم لمختلف المناطق المغربية من تجارب حربية ما يؤهلهم لذلك وهم فوق ذلك شجعان منضبطون تحت قيادة واحدة[3]، هكذا يتضح انه كان على يوسف بناءا" على منطلقات الحركة المرابطية ان يبادر بالعبور الى الاندلس ليوحد كلمة المسلمين " وينهي خلافات ملوك الطوائف ".وكذلك ليصد التيار المسيحي الجارف فيكون بذلك وفيا" لمبادئ المرابطين. لكن الذي حدث انه عندما عزم على العبور تخوف امراء الطوائف من عواقب تلك العملية لانهم كانوا

(1) يلاحظ في تاريخ الدول التي تعاقبت على حكم اسبانيا ان كل دولة توفرت لديها شروط التوسع كانت تتطلع للسيطرة على العدوة المقابلة لدولتها وفي هذا الاطار يدخل احتلال اسبانيا والبرتغال للشواطئ المغربية.

(2) علي بن عبد الله ابن ابي زرع الفاسي: الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس دار المنصور للوراقة والطباعة، الرباط 1972 ص 144.

(3) ابراهيم محمد الجبل: أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ص77.

يخشون أن يهاجموا من واجهتين: النصارى من الشمال والمرابطين من الجنوب فكتبوا اليه يطلبون منه أن يتخلى عن فكرة الجواز اليهم وبالمقابل فهم تحت طاعته وسلطانه[1]. وبعد اطلاع يوسف على طلبهم رد عليهم بكتاب يعلن فيه قبوله لذلك الطلب وخاطبهم من خلاله قائلا": أنكم بما في ايديكم من الملك في إوسع أباحة[2].ما يستنتج من هذه المراسلات بين يوسف وملوك الطوائف هو أن هؤلاء الاخرين كانوا يدركون مدى ما يمثله عبور يوسف أبن تاشفين بالنسبة اليهم من خطر على مصالحهم الشخصية لانهم من خلال بذخهم وتنافسهم يكونون طرفا" نقيضا" لافكار ومبادئ يوسف بن تاشفين، لذلك فضلوا مدارته بالتظاهر بالطاعة والامتثال لأنه قد صعب عليهم مدافعته[3].والملاحظة الثانية هي أنه يستبعد ان يكون اعتراف ملوك الطوائف بسلطان يوسف عليهم هو كل ما كاان يأمله قائد المرابطين وذلك في نظرنا لسببين: الاول هو ان أهداف المرابطين في تغيير المنكر والجهاد في سبيل الله تحول دون أكتفاء بمجرد مثول طاعة اولئك الامراء له، وانما تفرض عليه إصلاح أمر مسلمي الاندلس كخطوة أساسية نحو الجهاد ضد النصارى والسبب الثاني مرتبط بالاول الى حد ما، فأذا أكتفى يوسف بأعتراف ملوك الاندلس بسلطانه فقط مع استمرارهم في التناصر سيجعل المسيحيين يقضون نهائيا" على الوجود الاسلامي بالاندلس وبالتالي تصبح دولة المرابطين معرضة للمد المسيحي الاسترادادي مباشرة دون أن تكون لها خطوط امامية للدفاع. اذا قلنا بأن تطلعات يوسف اتجاه ملوك الطوائف لم تكن لتقف عند صدور تقديم الطاعة له والاعتراف بسلطانه عليهم فأننا نشير من خلال ذلك الى أنه عندما تظاهر بقبول تلك الطاعة أنما عمل على إظهار عكس ما ينويه.

ويمكن االقول بأن علاقة يوسف بن تاشفين بملوك الطوائف في هذه الفترة التي سبقت الاستنجاد كانت تتسم من طرف اولئك الامراء بالحذر والخوف ومن لدن ابن تاشفين بالمسايرة والتريث في مواقفه نحوهم اذذا تبين لنا أن الباعث لموقف الحيطة والاحتراز هو تخوف امراء الطوائف من عبور يوسف بن تاشفين ما يشكله من خطورة على مصالحهم الشخصية[4]، فأن السؤال الذذي يمكن طرحه هو: ماهي الاسباب التي منعت يوسف من تنفيذ مشروع العبور في تلك الفترة؟.

2- العلاقة مع المسحيين:

لقد أصبح تطلع النصارى بعدما تيقنوا من تفوقهم العسكري على المسلمين لا يقتصر عل أخذ الجزية وتسلم الثغور والحصون. من ملوك الطوائف، بل أصبح هدفهم هو استرداد الاندلس بكاملها الى حوزة الممالك النصرانية[5] وهو هدف لازم المسيحيين منذ السنوات الاولى من الفتح الاسلامي للاندلس لان الذين رفضوا الدخول تحت حكم المسلمين من السكان المحليين المسيحيين قد انحصروا

(1) المقري: نفع الطيب الجزء 6 ص86 و87.
(2) نفس المصدر ص88.
(3) المصدر السابق ص 86.
(4) المقري: نفع الطيب ج6 ص 86
(5) التواتي: مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص282.

في رقعة ضيقة في الشمال الغربي من الاندلس[1] وكانوا ينتظرون الفرصة المناسبة لأعادة الاعتبار للمسيحية في كل الاندلس يقول المقري إستنادا" الى بعض المؤرخين ما معناه: أن أول من جمع النصارى بعد تغلب المسلمين عليهم هو رجل مسيحي أسمه بلاي وهو من سكان جليقية وذلك سنة 98هـ[2]. ونخلص مما جاء في هذا القول الى أن أولى المحاولات لاعادة الاعتبار لمكانة الوجود النصراني بالاندلس وهو تاريخ يمكن أن تستفيد منه بأن الاول المسيحي في ابعاد المسلمين لم يفتر منذ البداية وحتى حين كان المسلمون يبسطون نفوذهم على معظم الاندلس واذا رجعنا الى البحث عن الاسباب المشجعة للمسيحيين على تطلعهم الى مدافعة المسلمين في هذا الوقت المبكر من الفتح الاسلامي للاندلس، تجد ان هناك سببا" لا شك انه رئيسي الا وهو ازمة الحكم التي كان المسلمون يعيشونها في الاندلس في تلك الفترة وعن ذلك يقول عبد الواحد المراكشي " ثم اختلف الامر هناك ومكث اهل الاندلس بعد ذلك زمانا" يجمعهم وال "[3].

ومنذ ذلك العهد تعاقبت محاولات النصارى للقضاء على المسلمين كلما شعروا بضعف هؤلاء الاخيرين بسبب أزماتهم الداخلية الا عناية الله كانت توجد في مثل هذه الظروف حكاما" قادرين. على اخراج الاندلس من ازمتها الداخلية وبالتالي تمكنها من مواجهة العدو المتربص بها[4]. لكن الحالة التي الت اليها وضعية المسلمين اواخر عهد الطوائف كانت اكثر الفرص ملائمة بالنسبة للنصارئ لتحقيق اهدافهم الاساسية المتمثلة في القضاء على الوجود العربي الاسلامي بالاندلس، بحيث اصبح بامكانهم القضاء على هذا الوجود لان امراء الطوائف بلغ بهم الضعف الى ابعد الحدود نتيجة لصراعاتهم الداخلية واذا كان نجاح الحملات الصليبية في الشرق "يرجع اساسا الى تفرقة كلمة المسلمين، ونشوب الفتن الداخلية"[5]، فان نفس الشيء يمكن قوله بالنسبة لمسلمي الاندلس في هذه الفترة بحيث انه في الوقت الذي كانت فيه "احوال الاندلس تضعف، وثغورها تحتل"[6] وكان "الروم تشتد اطماعهم ويقوى تشوفهم"[7] فقد تكاملت لديهم عوامل الوحدة والقوة وتوفرت لديهم القيادة الكفيلة بتوحيد اهدافهم وذلك في شخصية الفونس السادس الذي كان يجمع بين الحقد المبالغ فيه على الاسلام والمسلمين بين المكر والدهاء الي استغله لتفرقة المسلمين[8]. كما استطاع المسيحيون تجاوز بؤر الاختلافات الداخلية بينهم "اذ حضت البابوية على نبذ الحروب الداخلية"[9] الا انه في نظرنا يبقى اهم عامل مشجع للمسيحيين على التطاول على المسلمين هو الضعف الكبير الي ال اليه المسلمون خلال تلك الفترة

---

(1) محمد الجمل: امير المسلمين يوسف بن تاشفين ص93.
(2) المقري: نفح الطيب، الجزء 6 ص82.
(3) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص 24.
(4) من بين اولئك الامراء تذكر عبد الرحمن الناصر الذي بفضله "أعتز ركن الدين ".. وقام الجهاد وخمدت نار الخلافات" البيان المغرب، الجزء 3 ص223.
(5) ستيفن رونسيمان:تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الدكتور السيد الباز العريني ط1-1967 دار الثقافة بيروت ص ص 137.
(6) عبد الواحد المراكشي المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص137.
(7) نفس المصدر ص 137.
(8) ابراهيم محمد الجبل: أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ص 99.
(9) رونسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ص 6.

فلولا هذا العامل لما وجدنا الامراء المسيحيين يتجرأون على التفكير ليس فقط في محاربة المسلمين، وانما في اقصائهم عن الاندلس بصيغة نهائية ايضا". وقد كان احساسهم بهذا الضعف الذي صتاب المسلمين مبعث الثقة الكاملة والتفاؤل الكبير لاسترجاع الاندلس الى حضيرة النصرانية. وقد عبر عن ذلك فردناند[1] ابن شنجة في جوابه لبني ذي النون عندما طلبوا منه عقد معاهدة السلم بينهم وبينه بقوله: ونحن قد صمدنا اليكم ما نبالي ن اتانا منكم... وقد نصرنا بلادنا التي غلبتموها عليها قديما" في أول امركم... وقد نصرنا الان عليكم بردائتكم[2].

وقد كان المسيحيون يتخذون من التعصب الديني ضد الإسلام وسيلة لاذكاء الحماس في رعاياهم شانهم في ذلك شان إخوانهم في الشرق الذين يحاربون تحت راية الصليبية مستعملين "أساليب الغدر والخيانة، واستخدام العملاء من السكان الوطنيين في تحقيق اغراضهم"[3].

المبحث الثاني

ظروف استنجاد ملوك الطوائف بيوسف بن تاشفين

Chapter Two

The circumstances of the appeal of thekings of the sects Youssef Ben Tashfin

المطلب الاول:عجز ملوك الطوائف عن الصد المسيحي:

(1) سقوط طليطلة وتخاذل امراء الطوائف

استطاع الفونس السادس ملك قشتالة الذي تولى الحكم من (432ه -1040 م) الى (503ه -1109م) ان يضمن الاستمرار المخطط اسلافه الاسترادي بعد ان عرف هذا المخطط بعض الانتكاسات اثناء الحرب الأهلية التي وقعت بين ابناء فرديناند[4]. وشرع الفونس في تحقيق ذلك المخطط منذ (471ه-1077م) اذا اذا بدا بتخريب الحصون التابعة لطليطلة كمحاولة لحصارها والاستيلاء عليها فيما بعد[5]. وقد كان موقف ملوك الطوائف من هذا الحدث موقفا سلبيا للغايه اذ كانو ينظرون الى استشهاد المدينة المسلمة جامدين لايطمحون الا في ارضاء ملك قشتالة[6] ولم يسارع منهم لانثاذها سوئ عمر ابن الافطس الذي كان تحركه احد اسباب التراجع القشتالي المؤقت عن المدينة[7]. واذا حاولنا التعرف علئ الدفع الذي جعل ملوك الطوائف _ الاقوياء منهم علئ الاقل يتقاعسون عن نجدة طليطله نجد بان الدافع الى ذلك من رغبتهم في الانتقام من بني ذي النون والواقع ان سقوط طليطله كان فرصه لبعض ملوك الطوائف ليتنفسوا الصعداء الغياب احد منافسيهم المعاندين والذي طالما حال دون تحقيق مشاريعهم التوسعيه ونخص بالذكر من هولاء الامراء المعتمد بن عباد وبني هود اصحاب سرقسطه

---

(1) هو فرناندو أبن سانشو ملك قشتالة أستطاع توحيد البلاد المسيحية في الاندلس بعد الفتنة التي وقعت بينه وبين اخوانه، واستولى على سحورة وبازو، وقبل وفاته قسم مملكته بين أبنائه: سانشو غارسيه والفونس.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ج3 ص282.

(3) رونسيمان تاريخ الحروب الصليبية ص 137.

(4) اشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص51

(5) نفس المصدر ص52

(6) عبدالله عنان:دول الطوائف منذ قيامها حتئ فتح المرابطين ص419

(7) اشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص57

الـذين خاضـوا حروبـا طويلـه ضـد الطليطليـين[1]. فمـا عجـز هـولاء الامـراء عـن تحقيقـه (اي القضـاء علـئ منافسـه بنـي ذي النـون) قـد قـام بـه الفـونس وكـأنهم بـتخلفهم عن نجده طليطله كانو يعلمون بالمثل القائل رب رميه من غير رام "[2].

بعـد تراجعـه الموقـف عـاد ألفـونس لمحاصـرة طليطلـةبعزم أكيـد للاسـتيلاء عليهـا، خاصـة وإنـه تأكـد مـن عنصـر الطفـرة السـائق بـين ملـوك الطوائـف ومـن فـراغ السـاحة لـه إذا لـم يتقـدم أحـد لإنقاذهـا مـن ضـرباتها القويـة فـدام حصـاره لهـا مـدة سـت سـنوات. ولـم يكـن اعتـراف بنـي ذي النـون بسـلطان الفـونس علـيهم وإعطـاءه الجزيـة ليثنـى عزمـه عـن دخولهـا[3]. ربمـا لان ذلـك كـان يتنـافى مـع مشـروعه الاسـترداديالـذي ترتضـيه الكنيسـة المسـيحية وهكـذا تمكنـت القـوات المسـيحية مـن الاسـتيلاء على طليطلة سنة 478 ه، فهجرها الكثير من سانها الى بلنسية وبطليوس[4].

كـان انعكـاس سـقوط طليطلـة قاسـيا" جـدا" علـى المسـلمين لأنهـم يخوفـوا مـن عواقـب التواجـد المسـيحي فـي مركـز الوسـط للشـبه الجزيـرة الأندلسـية[5] وفـي المقابـل كـان الاسـتيلاء علـى طليطلـة إنتصـارا" مهمـا للنصـارى، الا إن اطمـاعهم الاسـترداديةلـن تقـف عنـد هـذا الحـد وأنمـا كـانوا يحتـاجون الـى مكاسـب مماثلـة وعاجلـة لتأكيـد قـوتهم وعـزمهم علـى إخضـاع بـاقي الامـارات المسـلمة. إن اسـتيلاء الفـونس علـى طليطلـة قبـل غيرهـا كـان وبـدون شـك تعليـه بعـض الاسـباب منهـا إنهـا كانـت مركـزا" مسـيحيا" مهمـا فيمـا قبـل بحيـث إنهـا كانـت دار ملـك القوطـا[6]. ولا يخفـى الـدور الحماسـي الـذي مـن الممكـن ان تخلقـه إخضـاعها علـى معنويـات الجـيش المسـيحي فـي غـزو بـاقي الامـارات المسـلمة هـذا مـن جهـة ومـن جهـة ثانيـة فـأن طليطلـة تعـد أقـرب معاقـل المسـلمين الكبيـرة بالنسـبة للنصـارى، ومـن جهـة ثالثـة لـن تخطـى بمسـاعدة اكبـر قـوة اسـلامية فـي الانـدلس أنـذاك ونقصـد بهـا إمـارة إشـبيلية، وكذلك بناء على المعاهدة التي أبرمت بين الفونس والمعتمد[7].

2- تهديد الفونس لباقي الامارات المسلمة:

بعـد الاسـتيلاء علـى طليطلـة سـنة (478ه/1085 م)والمنـاطق التابعـة لهـا بـادر الفـونس الـى مطالبـة الامـارات العربيـة المجـاورة بالتنـازل عـن أراضـيها فوجـه إهتمامـه هـذه المـرة الـى إمـارة بنـي الافطـس لكـن المتوكـل إبـن الافطـس إجابـه بشـجاعة ويتجلـى ذلـك فـي قولـه: لـو إتفقـت كلمتنـا مـع سـائرنا مـن الامـلاك لعلمـت اي اصـاب اذ قنـاك كمـا كانـت ابـاؤك مـع أبائنـا تتجرعـه[8]. ويمكـن ان تتبـين مـدى مـا بلغـه بلغـه تحـدي الفـونس للمسـلمين والاسـتهزاء بهـم لمـا هـم عليـه مـن التخـاذل والتنـاحر فيمـا بينهـم مـن خـلال الكتـاب الـذي بعـث بـه الـى المعتمـد بـن عبـاد ومـا جـاء فيـه " وقـد ابصـرتم مـا نـزل بطليطلـة وأقطارهـا ومـا صـار بأهلهـا حـين حصـارها، فأسـلمتم

(1) ابن عذاري: البيان المغرب ج3 ص278

(2) مثل عربي

(3) اشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص59.

(4) نفس المرجع ص60.

(5) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق د.سهيل زكار والاستاذ عبد القادر زمامة الطبعة 1 -1399ه-1979 م.

(6) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص 513.

(7) محمد الجمل، أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ص100.

(8) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ص36 و37.

اخوانكم. وعطلتم بالدعة زمانكم... ولا يعجل الا من يخاف الفوت فيما يرومه[1] ولم يكن رد المعتمد على الفونس بأقل جرأة من جواب المتوكل حين خاطبه برسالة جاء فيها " أما تعلم انا في العدد والعدين والنظر السدين... ونسأل الله سبحانه المغفرة فيما أتيناه في أنفسنا وفيهم من ترك الحزم، وإسلامهم لأعاديهم[2] لأعاديهم[2] ما يستنتج من الرسائل التي وجهها الفونس الى امراء الطوائف انه كان يهدف من ورائها الى نشر حرب نفسية بينهم. أما بالنسبة لجواب كل من المعتمد والمتوكل بن الافطس فيستنتج نها ان ملوك الطوائف بدأو يشعرون بضرورة لاعادة النظر في موقفهم اتجاه عدوهم واتجاه بعضهم البعض، فكان ان استيقظت ضمائرهم وصحت افكارهم[3]. لا سيما بعد ان ضرب الفونس الحصار الحصار على عدد من الامارات القوية فقد حاصر اشبيلية. واقسم بايمانه أن يغزو المعتمد بها كما سرقسطة واحتل قورية فعليا[4] امام هذة الاخطار المسيحية التي اصبحت تهدر كامل الاندلس المسلمة بدا الملوك الطوائف يتطلعون الى جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم من خلال بذل جهود داخلية اندلسية صرفة لمحاولة وقف زحف الاعداء دون الاستعانة بالخارج[5] لكن فعالية هذة الطريقة ظهرت بعيدة المنال لان امراء الطوائف ركنوا في قرارة اعماقهم الئ استحالة صعودهم منفردين امام زحف النصارئ[6] اضافة الئ انها فكرة لم تويدها الا اقلية لم يكن لها وزن كبير في الاندلس في حين ان فكرة الاستنجاد بالمرابطين كانت مؤيدة من طرف الاغلبية كما اتضح ذلك من خلال موتمر قرطبة يظهر اذن ان عجز ملوك الطوائف عن صد غارات النصارى كان واضحا لكن يمكن ان نطرح السوال التالي هل الفونس يجعل وزنا لقوات المسلمين لو تكتلت ؟ الذي يمكن قوله هو ان الفونس لما شعر باقتراب قوات المتوكل بن الافطس من طليطلة لنجدتها تراجع ورفع عنها الحصار[7] ومن المحتمل ان يكون خبر اقتراب المتوكل قد نقل نقل الية دون تحديد انها قوات بني الافطس وحدها وانما اخبر بانها قوات مسلمة ومن ثم يكون قد ذهب بة الظن الئ ان القوات المسلمة قد اتحدث واجتمعت علئ محاربتة لذلك فضل التراجع لشعورة بخطورة الموقف لكنة بمجرد ما تيقن حقيقة الامر بادر الئ احتلال طليطلة وهكذا يتضح ان الفونس كان يصاب المسلمين كقوة متكتلة ومتحدة.

المطلب الثاني: اتفاق امراء الطوائف علئ الاستنجاد بالمرابطين: لما تبين لامراء الطوائف بان الاعتماد علئ قوتهم الذاتية عمل لاتضمن منه النتائج المتوفاة ولما تيقنوا بان الدرع الذي سيقيهم من خطر النصارئ لايتوفر علئ المستوئ الداخلي اتجهو بانظارهم خارج الاندلس للبحث عن قوة اسلامية يستدعونها لنجدتهم فاتجهت انظارهم اول الامر الى عرب افريقيا لكنهم عندما عرضوا الفكرة غلى قاضي قرطبة عبدالله بن ادهم رفض واضح لهم بان

(1) نفس المصدر ص39.
(2) المصدر السابق ص 40 و41.
(3) التواتي: مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص278.
(4) اشباخ تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص58.
(5) التواتي ماساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص281 0
(6) نفس المرجع ص286 0
(7) اشباخ تاريخ الاندلس في غهد المرابطين والموحدين ص57

المرابطين اصلح لذلك من عرب افريقيا[1]، لما يتوفرون عليه من المزايا والشروط الضرورية التي يتطلبها الموقف وكان الفقهاء هم اول من تزعم فكرة الاستنجاد بالمرابطين اما لدى امراء الطوائف فان الفكرة وجدت دعمها القوي في ميول المعتمد بن عباد الئ الاقرار بها[2]، نظرا لما يمثلة من مركز مهم بين سائرا امراء الاندلس علئ المستوئ القوة وكبر الامارة لكن امراء الطوائف ظلوا متخوفين من ان يتطور التدخل المرابطي الئ اقصائهم من اماراتهم وهو نفس الانطباع الذي كان سائدا لاي متزعم فكرة الاستنجاد المعتمد بن عباد وهذا يدفعنا الئ القول بانة لولا عجز امراء الطوائف عن صد غارات النصارئ ولولا ان الخطر المستعجل الذي يمثلة الفونس السادس والذي كان في نظرهم اهم الاخطار المحدقة بنفوذهم السياسي لما اثرو في النهاية الاستنجاد بالمرابطين[3].

وقبل تخرج الفكرة من الاطار النظري الئ حيز التطبيق بادر امراء الطوائف الئ التشاور فيما بينهم وذلك من خلال موتمرين الاول تمهيدي عقد في اشبيليا الثاني وهو الاهم في قرطبة وكانت النتيجة التي خرج بها المؤتمرون هي ظهور نظريتين متعارضتين. نظرية الاقلية وهي نظرية تصر على الاعتماد على الامكانيات الذاتية دون طلب المساعدة من الخارج وقد تزعم هذه النظرية حسب ما تذكره الروايات التأريخية عبد الله بن سكوت ثم نظرية الأغلبية تأييد فكرة الاستنجاد بالمرابطين وقد تزعمها المعتمد بن عباد[4]. تذكر الروايات التاريخية بان المعتمد بن عباد عندما عزم على تنفيذ قرار الاستنجاد بالمرابطين حذره أمراء الطوائف عاقبة الامور وقالوا له: الملك الملك عقيم، والسفان لا يجتمعان في غمد واحد[5] لكن ابن عباد بت في الموضوع ورد عليهم بعبارته الشهيرة "رعي الجمال خير من رعي الخنازير "[6] وكذلك استطاع المعتمد ان يقنع لوامه لوامه بقوله " يا قوم أنا من امري على حالتين حالة يقين وحالة شك ولا بد لي من أحداها.. أني ان استند الى ابن تاشفين فأنا ارضي الله وأني استندت الى ابن فردلند أسقطت الله.. فلأي شئ ادعي ما يرضي الله واني ما يسخطه[7] بعد ذلك عمد المعتمد االى دراسة الطريقة التي سيسلكها لطرح فكرة الاستنجاد على يوسف. وقد هداه تفكيره ودبلوماسيته الى الاعتماد على دور الفقهاء والقضاة اعتبارا" للما يمكن ان يلعبه هؤلاء من تأثير على يوسف ولا سيما وأن هذا الاخير يحترم اهل العلم من الفقهاء وقضاة وينزلهم منزلة خاصة منه[8]. وهكذا اختار المعتمد لهذه المهمة كلا من قاضي قرطبة ابن ادهم وابن المقانا قاضي بطليوس وابن القليعي قاضي غرناطة بالاضافة الى ابي بكر ابن زيدون وعرفهم اربعتهم انهم رسله الى يوسف. من إبن تاشفين وأسند الى القضاة ما يليق بهم من

---

(1) المقري نفع الطيب الجزء السادس ص93

(2) ابن عذاري المراكش البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب الجزء الرابع ط2 1980%1400 دار الثقافة بيروت لبنان

(3) التواني: ماساة انهيار الوجود العربي في اندلس ص291

(4) التواني: مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص287.

(5) ابن عذاري: البيان المغرب ج4 ص132.

(6) ابن عذاري: البيان المغرب الجزء 4 ص132.

(7) المصدر السابق ص 132.

(8) المقري: نفع الطيب الجزء 6 ص 92.

عظ يوسف وترغيبخ في الجهات وأسند الى وزيره ما لا بد فيه في تلك السفارة من ابرام العقود السلطانية[1]. ثم زود المعتمد البعثة برسالة منه الى يوسف جاء فيه " نزعت بصمتي اليك واستنصرت بالله ثم بك واستعنت بحرمكم لتجوزوا الجهاد وهذا العدو الكافر وتحيوا شريعة الاسلام وتذوب عن دين محمد عليه الصلاة والسلام ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم والاجر الجسيم[2] " والى جانب جانب هه البعثة الرسمية يذذكر المقري بان وفودا" اخرى غير رسمية من ثغور الاندلس كانت تفد على يوسف طالبه منه الاستغاثة والتدخل لحماية مسلمي الاندلس[3]. ولما قدم المحتل لامراء الطوائف الى يوسف لتقديم دعوات الاستنجاد الاستنجاد استشار هذا الاخير بني عمه واخوانه فأشاروا عليه بأن نداء الاستغاثة يجب أن يلبى بمقتضى المبادئ الدينية التي تحث على مساندة المسلم لاخيه المسلم لكن وزيره عبد الرحمن بن اسبط نبهه الى نقطة مهمة وهي ضرورة تأمين عملية العبور وقال له اكتب اليه أنه لا يمكنك الجواز اليه الا ان يعطيك الجزيرة الخضراء فنجعل فيها ثقاتك واجنادك ويكون الجواز بيدك متى شئت[4].

فطلب يوسف من المعتمد ان يمكنه من الجزيرة الخضراء كشرط اولي للتدخل مما جاء فيه مكاتبته له أنه لا يمكننا الجواز الا أن تسلم لنا الجزيرة الخضراء... فأن رأيت ذلك فاشهد به على نفسك وابعث الينا بعقودها ونحن في اثر خطابك[5]. وكانت لمراسلات بين يوسف والمعتمد دليلا" على شكوك المعتمد المعتمد في نوايا زعيم المرابطين وعندما اصر على أخذ الجزيرة بعد اخضاعها لتكون منطقة انزال واستعداد الجيوش المرابطية ولضمان خط الرجعة اذا اقتصت الضرورة لذلك.

المبحث الثالث

دخول يوسف بن تاشفين للاندلس

Chapter Three

The entry of Yusuf bin Tashfin to Andalusia

المطلب الاول: الاحتياطات التي أتخذها أبن تاشفين قبل التدخل

نظرا" لقرب المغرب من الاندلس ولاهمية الطلة الاستراتجية والدفاعية التي تربط بين ضفتي العدوة والاندلس المتقابلتين على طرف المضيف فأنه من الخطأ الظن بأن المرابطين كانوا ينظرون الى احداث الاندلس غير مبالين، فقد كانت أول عقيدتهم وكان نشاطهم السياسي يضعان مشكلة الاندلس امامهم خاصة وان الادارة المرابطية كانت متشبعة بالعنصر الأندلسي، فما كان للمرابطين ان يقفوا موقف المتفرج وما كانوا في حاجة الى دعوة اهل الاندلس كي يتدخلوا[6].

كان المرابطون خاصة وانهم اثبتوا كفاءتهم في معارك الجهاد، في الواحات واودغشت وغانه وغيرها مضطرين حماسا" دينيا" ومتشوقين لدخول

(1) المقري: نفع الطيب الجزء 6 ص 92.
(2) مؤرخ مجهول الحلل الموشية ص 45و46.
(3) المقري: نفع الطيب الجزء 6 ص 92.
(4) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية ص 49 و50.
(5) نفس المصدر ص 50.
(6) عبد الحق حموش: ابن تاشفين، دار الكتاب الدار البيضاء ص: 63.

الانـدلس والجهـاد ضـد النصـارى " ليضـعوا اولا" حـدا"" لا طـاع الاندلسـيين فـي المغـرب وقـد ظلـوا يناوئون كـل الحركـات الانفصـالية عـنهم والتـي كانـت تنبـت فـي المغـرب ومـا مـوقفهم مـن الفـاطميين بمجهـول وليقطعـوا ثانيـا" بطريـق علـى مطالـب ملـوك قشـتالة وادعـاءاتهم حقوقـا" لهـم علـى المغـرب كمـا تشـير الـى ذلـك الكتـب القشـتالية الـواردة فـي الموضـوع علـى المـرابطين والتـي ورد فيهـا مـا يفيـد عـزمهم علـالعبور الـى المغـرب لسـحق المـرابطين[1] وقـد تلقـى يوسـف مثـل هـذه التهديـدات مـن الفـونس السـادس حيـث قـال بلغنـا عنـك انـك فـي الاحتفـال علـى نيـة الاقبـال فـلا ادري اكـان الجـبن يطـيء بـك أم التكـذيب بمـا انـزل اليـك فـأن كنـت لا تسـتطيع الجـواز فأبعـث الـي مـا عنـدك مـن المراكـب لا جـوز اليـك وأنـا قاتلـك فـي احـب البقـاع اليـك فـأن غلبتنـي قتلـك غنيمـة جلبـت اليـك ونعمـة مثلـت بـين يـديك وإن غلبتـك كانـت لـي اليـد العليـا وأسـتحكمت الامـارة والله يـتم الارادة[2].إذا كانـت النصـارى بكتـبهم التهديديـة تلـك يقصـدون التظـاهر بقـوتهم وأنهـم ليكتفـون فقـط بالقضـاء علـى مسـلمي الانـدلس. وأنمـا هـم يتطلعـون الـى اليـوم الـذي سيبسـطون فيـه سـلطانهم علـى عـدوة المغـرب وإيهـام المغاربـة ومسـلمي الانـدلس معـا" بـأن وثبـتهم هـذه المـرة ليسـت تهديـدا" فحسـب ينتهـي بمكاسـب عاجلـة وانمـا هـي وثبـة تضـع فـي مقدمـة أهـدافها سـحق حتـى قـوة المـرابطين بأعتبـار بلادهـم كانـت القنطـرة الوحيـدة التـي أوطـت هـؤلاء العـرب الإخـلاء الـى الانـدلس[3]. اذا كـان لكـل ذلـك هـو بعـض الغايـة مـن كتـب النصـارى التهديديـة فـأن إبـن تاشـفين مـن جهتـه لـن يشـعر لسـلطانه بنفـوذ ول لعـزه بوجـود إذا لـم يثبت للاندلسيين المسلمين والاسبان معا" انه فوق ما يظنون جميعا"[4].

لقـد سـبق ان اشـرنا الـى ان إبـن تاشـفين كـان يتطلـع الـى الانـدلس منـذ أن أطلـت دولتـه علـى البحـر المتوسـط لكنـه رغـم ذلـك تريـث قليـلا" ولـم يتـدخل الا بعـد الاغاثـة الموجـة اليـه مـن ملـوك الطوائـف وقبـولهم شـروطه فمـا هـي أسـباب هـذا التريـث. لقـد سـبق لأمـراء الطوائـف أن بعثـوا الـى يوسـف برسـالة عنـدما شـعروا بعزمـه علـى العبـور الـى الانـدلس جـاء فيهـا " أمـا بعـد فأنـك أن أعرضـت عنـا نسـبت الـى كـرم ولـم تنسـب الـى عجـز وان أجبنـا داعيـك نسـبا" الـى عقـل ولـم ننسـب الـى وهـن وقـد أخترنـا لانفسـنا أجمـل نسـبتينا فـأخترلنفسـك أكـرم نسـبتيك فأنـك بالمحـل الـذي لا يجـب أن تسـبق فيـه الـى معركـة وأن فـي إسـتبقائك ذوي البيـوت مـا شـئت مـن دوام لأمـرك وثبـوت والسـلام "[5]. وهـذه الرسـالة وان كانـت فـي مضـمونها تهـدف الـى تبسـيط همـة يوسـف وجعلـه يتقـاعس عـن العبـور الـى الانـدلس لا يمكـن إعتبارهـا السـبب الوحيـد فـي تريـث إبـن تاشـفين. وأنمـا توجـد اسـباب اخـرى تتعلـق بالاحتياطـات التـي علـى يوسـف ان يتخـذها نظـرا" للمهمـة الخطيـرة التـي تنتظـره. فالتـدخل فـي الانـدلس يعتبـر مهمـة صـعبة بـل وخطيـرة فـي نفـس الوقـت لـذلك فـإن إبـن تاشـفين ذو العبقريـة الفـذة والتخطـيط العسـكري النـاجح تريـث قبـل الإقـدام علـى تـدخل لا يطمـئن علـى سـلامة عواقبـه ويمكـن أن نستكشـف مـن هـذا التريـث إن يوسـف لا يريـد أن يسـلك

(1) عبد الكريم التواتي/ ماساة انهيار الموجود العربي في الاندلس ص:289.
(2) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية: ص 43.
(3) التواتي: مأساة غطنهيار الوجود العربي في الاندلس ص: 289 و290.
(4) نفس المرجع: ص 290.
(5) المقري: نفح الطيب ج:6 ص: 87.

مسلكا" لا يتجاوب مع طموحات أمراء الطوائف.وكان لديه شعور عميق بضرورة إنتظار المناسبة التي ستكسب مشروعه الجهادي التأييد من طرف هؤلاء الأمراء ولو البعض منهم أي الحصول على موافقاتهم إذ لا يكفي الحماس الديني وحده والتسرع في العبور يعتبر مغامرة لا يمكن التكهن بنتائجها. ويمكن اعتبار تلك الموافقة ضرورية لأنه بدون وجود المغاربة في تلك البقاع خاصة وإنهم غرباء لا علم لهم بها سوف لن يعرضهم لغضب الإسبان وهجماتهم فقط. اذ هذا سيعرضهم إلى غضب ملوك الطوائف وإمكانية مقاومتهم أيضا[1].

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنه إذا حصل على تلك الموافقة سيكسب تأييد أولئك الأمراء وإمدادهم إياه بالعون العسكري والمادي لذلك لأنه إذا نظرنا من زاوية احتياج العمل السياسي والحربي الذي سيخوضه يوسف في تلك البقاع نجد بأنه في حاجة إلى تلك المساعدة المادية والعسكرية. ماديا" لإمداده بمعونة مالية مساهمة في أداء واجب الجهاد وعسكريا" لأن الجيش المرابطي الذي سيعبر إلى الأندلس سيكون محدود العدد لأن يوسف لا يرغب في إخلاء المغرب من المرابطين وقد أخضعه بالسيف وأعدائه لم يزولوا نهائيا عن مسرح الأحداث المغربية[2].لذلك فإن ضرورة كانت تدعو إلى مساهمة جيوش الأندلس المسلمة في مشروع إبن تاشفين الجهادي.

أولا": لمساهمتهم كمرشدين في خدمة المرابطين لجهل هؤلاء الأخيرين لطبيعة الأندلس جغرافية.

ثانيا: لأنهم أعلم بالاستراتيجية الحربية لدى أعدائهم النصارى وهذا سيساعد يوسف في وضع مخططاته الحربية.

أما إذا نظرنا إلى الشروط التي طالب بها يوسف في مقابل عبوره إلى الأندلس سنجد بأن له أعذارا" قوية ووجيهة في وضعه هذه الشروط. وهكذا كان الرد الأساسي الذي تقدم به بناء على رأي كاتبه ووزيره عبد الرحمن بن أسبط[3] أن يسلم ثغر الجزيرة الخضراء لضمان سلامة طريقه في الذهاب وحماية ظهره في الإياب وحتى يكون الجواز بيده متى شاء وبذلك يملك موضعا أمينا تشغله حامية مخلصة. ويبقى في كل وقت على اتصال دائم بأفريقيا[4]. لكن إذا كان قصد يوسف في ذلك الشرط وضمان سلامته وسلامة جيشه المغربي وحمايته من وخيم العواقب فإنه قد أثار الشكوك المعتمد خاصة لابنه الرشيد فقد قال ذلك الأخير والده حين أطلعه على خطاب الأمير يوسف: يا ابتي الا تنظر الى ما أطلب[5]. وإذا كان المعتمد قد بت في الموضوع بقوله: يا بني هذا قليل في حق نصرة المسلمين[6]. وكذلك إذا كان انصاره قد قبلوا شروط يوسف فيظهر هذا القبول لم يكن عن طواعية واختيار لنتائجه الإيجابية بقدر ضرورة أوجبتها ذلك إن مسلمي

---

(1)عبد الكريم التواني: مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص: 287.

(2) سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والاندلس عهد يوسف بن تاشفين امير المرابطين دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان ط:1 – 1405-1985 ص:86.

(3) عبد الرحمن أسبط أو أسباط من أهالي المرية ويذكر التاريخ إنه هو الذي نبه يوسف إلى ضرورة هذا الشرط كما في الحلل ص:49.

(4) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية ص:49 وص 50.

(5) نفس المصدر ص50 و51

(6) المصدر السابق ص: 51.

ألاندلس وجدوا أنفسهم أمام أمرين لا ثالث لهما: أما الانحدار أمام الإسبان والموت المحقق أو المخاطرة مع يوسف بقبول شروطه[1].

خاصة وإنهم أصبحوا عاجزين عن القيام بالعملية المتطلبة فقد بلغت لديهم روح المقاومة من الوهن ما أصبحت معه من المستحيل أن تؤدي دورها المرجو منها. في هذا الظرف العصيب الذي كان تجتازه بلاد الأندلس المسلمة في ظل أولئك الأمراء الذين ليس فيهم نفع ولا يرجى منهم نصرة[2]. والذين كانت علاقتهم فيما بينهم صورة مجسمة للغدر وعدم التقيد بالعهود كان إبن تاشفين مضطرا" لاتخاذ تلك الاحتياطات التي أشرنا إليها قبل أن يعبر إلى الأندلس. وبعد حصوله على الجزيرة الخضراء حزم إبن تاشفين أمره وقرر تلبية نداء إخوانه في الدين عملا" بقوله عليه الصلاة والسلام: والمؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم[3]. لإنقاذ الأندلس المسلمة من إلهوة السحيقة التي تردت فيها ولمتابعة عملية الجهاد باعتبارها من الواجبات الشرعية.

المطلب الثاني: عبور يوسف وجنده الى الاندلس:

1- استقبال المعتمد ليوسف بن تاشفين:

عبر يوسف إلى الآندلس في شهر ربيع الأخر سنة(479ه – 1086 م) وقبل ان يتم اللقاء قول بينه وبين الإسبان ثم لقاء آخر بينه وبين المسلمين الأندلسيين سلموه فيها الجزيرة الخضراء وكان ذلك في مشهد حافل وحشد عظيم من علية الاندلسيين من من قضاة وفرسان وأمراء وتختلف الروايات التاريخية في المكان الذي تم فيه على الاستقبال وكان ذلك اللقاء بين يوسف وبين المعتمد بن عباد في الجزيرة أو في إشبيليا ولكن مهما تكن الرواية صحيحة من الروايتين فإن استقبال الاندلسيين ليوسف كان استقبالا" رائعا" وعظيما"[4].

وأظهر المعتمد من بره وإكرامه فوق ما كان يظنه أمير المسلمين وقدم إليه من الهدايا والتحف والذخائر الملوكية ما لم يظنه يوسف عند الملك[5] كما أعتنى امير اشبيلية عناية خاصة بأعداد مقادير عظيمة من المؤن تكفي لتزويد الجيش الضخم[6]. ويظهر من الاستقبال الذي خص به إبن تاشفين من طرف المعتمد بن عباد إن هذا الأخير أراد أن يسبق زملائه الامراء في اغتنام عطف يوسف[7] حتى إذا اشتد تمكنه منه اعتمد على معاونيه وحاول أن يوجهه في سبيل تخ تحقيق أغراضه الدنيوية فقد عرف عن المعتمد بأنه واحد من أولئك الأمراء الذين كانوا يتواتيون على الحكم ويتهافتون على المناصب وفي الغالب بالطرق الغير مشروعة وبعداوة بعضهم البعض عداوة سافرة لا تراعي عهدا" ولا ذمة ولا أخوة ولا جوارا"[8]. لقد توسل المعتمد بكل مايملك من خصال شريرة وحميدة كي يملك الاندلس برمتها ولم ينوي هذا الأمير من أن يعمل لمصلحته الخاصة

(1) التواني: ماساة انهيار الوجود العربي في الانلس ص:290.
(2) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية ص:44.
(3) حديث نبوي شريف.
(4) عبد الكريم التواني: مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص 294.
(5) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص 194
(6) اشباخ: تاريخ الأندلس في أحد المرابطين والموحدين ص 79
(7) المرجع السابق: ص79
(8) التواني: مأساة انهيار الوجود العربي في االاندلس ص: 309

ولو على حساب إخوان له في الدين والجنس واللغة والمصير. ولما جاء المرابطون أراد أن يغتنم فرصة وجودهم فأراد أن يستدرجهم إلى خدمة تلك الأغراض[1]. أما من جهة يوسف إنه لا شك كان يدرك البواعث التي يصدر عنها المعتمد في موقفه ذاك لكنه مع ذلك فضل أن يتجنب كل ما من شأنه إثارة شكوك أمراء الطوائف وخاصة زعيمهم المعتمد بن عباد.

لقد أراد يوسف ان يطمئن هؤلاء الذين أستمدوا الاستقلال الذاتي بأن هدفه من ذلك التدخل هو الجهاد في سبيل الله ونصرة الإسلام فكان يظهر أعظام المعتمد وإجلاله.

او يقول مصرحا": إنما نحن في ضيافة هذا الرجل وتحت أمره وواقفون عندما يحده[2]. ويذكر صاحب المعجب بأنه قال للمعتمد على الله: هلم ما جئتنا له من الجهاد وقصد العدو وجعل يظهر التأفف من الإقامة بجزيرة الأندلس ويتشوق إلى مراكش ويصغر قدر الأندلس ويقول في أكثر أوقاته كان أمر هذه الجزيرة عندنا عظيما قبل أن نراها فلما رأيناها وقعت دون الوصف[3].

(2) الاستعداد للمعركة:

ما إن أخطر ملك قشتالة بالزحف المرابطة حتى لوى عنانه عن محاربة إبن هود وفضل مواجهة الغزو الجديد ودفع هذا الخطر الذي دهمه على غفلة هذا الخطر أملا عليه التحالف مع أمراء أسبانيا النصرانية مبعث إلى سانشو راميرز ملك أراغون يستدعيه لنجدته وإلى الكونت برنجار ريموند صاحب بنبلونة كما أرسل إلى قائده البرهانس يستدعيه من بلنسية[4]. استنفر الكبير والصغير ولم يدع يدع في أقاصي مملكته من يقدر على حمل السلاح إلا إستنهضه[5]. كما أتته من لانجدوك وجيانه وبرجونيه وبروفانس أفواج عديدة من المتطوعين[6]. والظاهر إن هدف الفونس من هذا الحشد الجديد للجيوش أوروبا إنه أراد أن يسحق ممالك الطوائف في أقرب وقت دون أن يترك لهم فرصة للنهوض من عثرتهم كما إن إجماع ملوك أوروبا على مقاومة الزحف المرابطي كان له أكثر من مبرر فمن المغرب عرفوا المسلمين وعن طريقه وصلوا إلى مرو الأندلس وممالكها النصرانية ثم إن الجيش المغربي هو الذي أوطأ للوجود العربي أوروبا وفتح لهم ثغورها ومكنهم لهذا الوجود لا أني يساكن الأسبان فقط ولكن أن ينتزع منهم حتى الحكم والسلطان أيضا"[7]. لذلك كله كانت جيوش اوربا حانقة على هذا التحدي السافر الجديد من مسلمي المغرب لأنه سيحاول دون إتمام مشروعاتهم التي كانوا ينظرون إلى أنها وشيكة التحقيق وقريبة المنال. أما بالنسبة للمرابطين فإنهم هم بدورهم سيواجهون قوات النصارى بكل ما أوتوا من قوة وعزم تحذوهم في ذلك رغبة كبيرة في الاستشهاد خاصة وإن نتائج القتال تعتبر مصيرية في نظرهم فإذا إنهزموا فذلك يعني أن المغرب ستعمها الاضطرابات والفوضى على

(1) عبد الحق حموش: ابن تاشفين ص79.
(2) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص 199 و200.
(3) نفس المصدر: ص 195 و196.
(4) أبن أبي زرع: روض القرطاس ص: 146.
(5) لمقري: نفع الطيب ج 6 ص: 95.
(6) نفس المصدر: ص 95.
(7) التواني: مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص: 295.

يد أعدائهم المتربصين بهم وهم كثيرون وإذا عادوا ظافرين فإن ذلك سيقوي نفوذهم وسلطانهم وسيبعث الخوف في نفوس أعدائهم المغاربة فسيقلعون عن فكرة التمرد والثورة ليقينهم برسوخ دولة المرابطين وقوتها خاصة إنها أثبتت كفاءتها في معارك الجهاد خارج المغرب[1] لذلك فإن المرابطين سيدخلون إلى ميدان القتال معتمدين أكثر على أنفسهم أما ملوك الأندلس المسلمة فلا يمكن الاعتماد عليهم كليا" ماعدا الأقلية منهم لقد أدرك الأمير يوسف بالمشاهد المحسوس الانهيار النفساني الذي يسيطر عليهم ولمس في أكثرهم التردد والمماطلة فقد كانو حريصين على حياتهم ولا يرغبون في الاستشهاد ولا غرابة في ذلك فقد خضعوا للنصارى طويلا" ودفعو لهم الجزية وجندوا المرتزقة للاحتفاظ بعروشهم. بعد حشد الجيوش التي ستشارك في القتال خرج ألفونس بجيشه في اتجاه بطليوس وخيم على بعد 3 أميال من الجيش المسلم في بطحاء الزلاقة يفصل بينهم نهر بطليوس[2]. فكيف إذن يمكن تعليل اختيار المكان الذي سيصطدم فيه الجانبان؟. بالنسبة للمرابطين نجد بعضا" من هذه التحليلات في المصادر والمراجع واستفاد منها إن يوسف كان في تقدمه حذرا" لا يريد أن يتوغل في أراضي المشركين وهو لا يزال على غير معرفة بالأندلس ومسالكها لذلك فضل البقاء على الحدود أو قريبا" منها حتى إذا انتصر المسلمون بادروا إلى التوغل في أراضي الأعداء وإذا انهزموا تمكنوا من الرجوع بأقل ما يمكن من الخسارة ويلاحظ إن التدبير والنظر البعيد هما اللذان إنتجا هذا الاختيار فقد خرج يوسف من أرض المغرب قاصدا" بلاد الأندلس وأمامه في كل بقعة من هذه الأخيرة معركة أو إمكانية معركة. فلو إنه قصد أن يتنازل الإسبان عن كل بقعة من القلاع التي تحيط بأرض المسلمين لبدد قواه في حروب جزئية قد ينتصر وفيها نصرا غير مأمون العواقب لذلك فضل حربا" رئيسية يلقى فيها عدوه مباشرة حربا" تجمع فيها زمرة جند الفريقين ليقرر لكل منهما مصيره[3].

أما من جانبه القشتاليين فإنهم على العكس فضلوا التقدم نحو المسلمين وهذا ناتج عن ثقة الفونس الشديدة بنفسه لأنه كان السيد المطاع في شبه الجزيرة الأيبرية ولا يريد لهذه الهبة أن تطرق هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أراد الفونس أن يجنب بلاده وخيم العواقب إذا حلت به الهزيمة لذلك الحين في أيد المسلمين ويتضح ذلك جليا" من قوله لأهل وده ووزرائه " إني رأيت أن امكنتهم من الدخول إلى بلادي فناجزوني بين حدرها وربما كانت الدائرة علي فيكتسحون البلاد ويحصدون من فيها في غداة لكن أجعل يومهم معي في حوزة بلادهم فإن كانت علي اكتفوا بما نالوه ولم يجعلوا الدروب وراءهم إلا بعد أهبة أخرى فيكون في ذلك. صون لبلادي وجبرا لمكاسري وإن كانت الدائرة عليهم كان مني فيهم ما خفت أنا ان يكون منهم فيّ وفي بلادي إذا ما ناجزوني في وسطها[4].

(1) سعدون عباس: دولة المرابطين في المغرب والاندلس ص 86.
(2) إبن ابي زرع: روض القرطاس: ص 146.
(3) عبد الحق حموش: ابن تاشفين ص 68.
(4) ابن عذاري: البيان المغرب:ج4 ص:134.

المطلب الثالث: معركة الزلاقة أطوارها ونتائجها

1-**أطوارها:** مهما اختلفت الروايات تاريخية في تقدير قوات المسلمين والنصارى فإنه جميع الدلائل تشير إلى تفوق الجيش الإسباني على الجيش الاسلامي في العدد والعدة[1]. وعمد الفونس في إستراتجيته الحربية الى تقسيم جيشه إلى قسمين كبيرين أسند قيادة الجيش الأول الى أبن عمه الكونت غارسياو رودربك لكن الأول انسحب قبل بدء المعركة وبقي الثاني في القيادة واحتفظ بقيادة الجيش الثاني وعين على جناحيه سانشواميرز والكونت برنجار ريموند وتولى هو القلب[2]. وكان الفرسان يشكلون العمود الفقري في جيش الفونس.كان الفارس يلبس الزرد والدروع التي تغطيه من الرأس إلى القدم[3]. واتخذ من السلاح ما يزيد من جرأته وشجاعته واحتل الرهبان والقسيسون مقدمة الجيش وهم يروضون الأناجيل والصلبان لإذكاء الحماس الديني في نفوس الجنود[4].

وكان ألفونس بمثل هذه الوسائل يهدف إلى التظاهر بقوته وادخال الرعب في نفوس الجنود المسلمين. كما لجأ إلى خديعة كان ينوي من وراءها مباغتة الجيش الإسلامي ليتمكن بذلك من هزيمته فكتب إلى يوسف إن غدا يوم الجمعة لانحب مقابلتكم فيه لأنه عيدكم وبعده السبت يوم عيد اليهود وهم كثير في محلاتنا وبعده الأحد عيدنا. فنحترم هذه الأعياد ويكون لقاء الاثنين "[5]. لكن المعتمد فطن إلى هذه الخديعة فنبّه يوسف قائلا": إنها حيلة منه وخديعة، إنما يريد غدرنا فلا تطمئن إليه وقصده الفتك بنا يوم الجمعة فليكن الناس على إستعداد له يوم الجمعة وكل النهار"[6]. ومن ثم لبث المسلمون على أهبتهم حذرين متحفزين[7].

نظم يوسف جيشه حسب الاستراتيجية الحربية فجعل الأندلسيين جيشا" قائما" بذاته أسند قيادته إلى المعتمد بن عباد الذي تولى في الوقت ذاته المقدمة وعين المتوكل الأفطس على الميمنة وأهل الشرق كانوا على الميسرة وحشد سائر أهل الأندلس على الساقة[8]. أما الجيش المرابطي فقد تولى قيادة فرسانه داوود بن عائشة والحشم سير إبن أبي بكر وبقية الجيش المرابطي خلف الجيش الأندلسي تفصل بينهما ربوة قصد التمويه[9]. والتحم الجيشان الخاصيمان في معركة فاصلة وحاسمة في (479ه/1086م) أبدى فيها ابطال كل فريق من ضروب البسالة والشجاعة ما تتحدث عنه الروايتين الإسلامية والنصرانية معا" بإكبار وإعجاب وكادت الدائرة تدور في بداية المعركة على المقدمة المسلمين المؤلفة من القوات الاندلسية والتي يقودها المعتمد بن عباد فاختل نظامها وارتد معظمها نحو بطليوس ولم يثبت في وجه المهاجمين سوى المعتمد بن عباد وفرسان إشبيلية غير إن تدخل القوات المرابطية أدى إلى حسم الموقف لصالح

(1) عبد الواحد المراكشي: المعجب في التلخيص أخبار المغرب ص:197.
(2) أشباخ: تأريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص 83.
(3) نفس المرجع: ص:56.
(4) القري: نفح الطيب ج:6 ص 95.
(5) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية ص:57.
(6) المقري: نفع الطيب ج:6 ص:98.
(7) إبن ابي زرع: روض القرطاس ص: 147.
(8) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية ص:59.
(9) ابن ابي زرع: روض القرطاس ص:146.

المسلمين. ونجد ان جل المصادر تشير إلى الخطة المحكمة التي وضعها يوسف للإيقاع بالمسيحيين وكذلك التخطيط العسكري.الذي وضعه منذ البداية وهنا تثار عدة أسئلة حول هذا التخطيط منها: هل أراد يوسف ان يختبر قوة وايمان أمراء الطوائف عندما قدمهم عن غيرهم في الصفوف الامامية؟ أم أن ذلك راجع إلى كون الأندلسيين هم أعرف الناس بطرق حرب النصارى؟ ام ان هناك أمور أخرى؟.

الملاحظ أن ملوك الطوائف وجيوشهم هم الذين تلقوا الضربات الأولى القاسية وتكبدوا خسائر كبيرة نظرا" لعنف الهجوم القشتالي المركز عليهم منذ البداية لذلك يمكن القول بأنهم كانوا حطبا" لنار المعركة وكانت كتيبتهم الصخرة التي تحطمت عليها طاقة الإسبانيين الحربية وتتبدد فيها فعاليتهم أذ في نفس الوقت كان مايزال للمسلمين جيش تام هو الذي يقوده يوسف[1].

(2) **نتائجها:** إذا كانت معركة الزلاقة لم تستمر أكثر من يوم واحد (12 رجب 479 ه/ 23 اكتوبر سنة 1086م)[2] والتي انتهت بانتصار عظيم للقوات المسلمة وهزيمة ساحقة لقوات التحالف المسيحي فإن الأهم من ذلك هو النتائج التي ترتبت عنها ولا بد الإشارة إلى هذه النتائج:

1) بالنسبة للأندلسيين وأمراء الطوائف:كان من النتائج العملية المباشرة لنصر الزلاقة أن عادت إلى أسبانيا المسلمة روح الثقة والامل فالموقعة قد أنعشت الامال وحركت الهمم على بعث روح الحماسة الدينية التي كاد يقضي عليها أمراء الطوائف بتصرفاتهم المشينة وتراميهم على اعتاب ملوك النصارى[3].

" فيوم الزلاقة ثبت قدم الدين بعد زلاقها وعادت ظلمة الحق إلى اشراقها" وتنفست مختنق الجزيرة بعض التنفس واعتز بها رؤساء الاندلس[4].

إلا إن الموقعة من جهة أخرى قد أسقطت من هيبة أمراء الطوائف أمام رعاياهم فقد كشفت الموقعة عن تخاذلهم وضعفهم فأخذت الرعية تتمرد عليهم وتمتنع عن إعطائهم الضرائب الغير الشرعية والمخالفة لتعاليم الإسلام[5].

غير أن هناك نتائج أكثر أهمية وذات مدى بعيد تتمثل في ارتداد سيل النصرانية الجارف عن الأندلس المسلمة بعد أن كان ينذرها بالمحو والقضاء العاجل وغنم الإسلام حياة جديدة في إسبانيا إمتدت إلى أربعة قرون أخرى[6].

1-بالنسبة للمرابطين: كانوا أكبر مستفيد من الانتصار في الزلاقة اذ يقترن ذكرهم بأسم يوسف بن تاشفين وترددت أصداء الانتصار في مختلف أرجاء شمال افريقيا والعالم الإسلامي. ففي الأندلس أظهر أهلها التيمن بأمير المسلمين والتبرك به وكثر له الدعاء في المساجد وعلى المنابر وانتشر الثناء عليه وأظهر

---

(1) عبد الحق حموش: ابن تاشفين ص:67.

(2) تختلف الروايات الإسلامية في تحديد تاريخ موقعة البلاد ولكن التاريخ صحيح هو يوم الجمعة (12 رجب 479 ه) هو نفس التاريخ الذي ذكره يوسف بن خطاب الفتح حيث يقول "كانت هذه النعمة العظيمة يوم الجمعة (12 رجب 479 ه)

(3) عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى فتح المرابطي ص:332.

(4) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية ص:66.

(5) عباس نصرالله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس ص:117.

(6) عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ص:232.

الناس اعظامه ونشأ له الود في الصدور[1]. وفي المغرب ساعد نصر الزلاقة على حل مشاكل المرابطين الداخلية فقط أطاعتهم القبائل التي ظلت ولمدة طويلة تضمر لهم الحقد والبغض.

2-بالنسبة للمسيحيين بزعامة قشتالة: كانت معركة الزلاقة بالنسبة اليهم هزيمة منكرة شنعاء لم تكن في الحسبان والأهم من هذا إنها كانت ضربة قوية للافونس السادس في إسترداد الأندلس لذلك ستوقف هذه السياسة التوسعية بصفة مؤقتة.

غير إنه لا يجب أن يفهم من هذا أن خطر التهديد المسيحي قد زال بصفة نهائية لأن عزيمة الفونس عقب هزيمته في الزلاقة ستصبح أقوى من عزيمة ملوك الطوائف فلم تبعث المحنة يأسا الى قلبه بل أخذ يجد في حشد جيش جديد[2]. وبالرغم من هذه النتائج التي جناها المرابطون ومسلموا الأندلس على السواء من انتصار الزلاقة فإن هذا الانتصار يبقى ناقصا لأن يوسف لم يتمكن من الاستمرار في متابعة ألفونس والشرذمة التي كانت معه بل إنه منع المسلمين من اللحاق به قائلا": الكلب إذا وهم لابد أن يعض.... فأن هجمتم على هؤلاء أبلوا بلاءا" عظيما"[3]. بالرغم من إصرار المعتمد على اتباع ألفونس واستئصال شافته فإن يوسف أصر على الامتناع وأعذر بأنه قال:" لو اتبعناه اليوم لقي في طريقه أصحابنا المنهزمين راجعين إلينا منصرفين فيهلكهم"[4]. لقد أثار اختلاف يوسف والمعتمد حول موضوع المطاردة عدة آراء فقال: شيخ إبن عباد: لم يخف على يوسف إن أبن عباد أصاب وجه الصواب.. لكنه خاف أن يصلك العدو الذي من أجله استدعاه فيقع الاستغناء عنه وقال الشيخ يوسف: إنما أراد من عباد قطع حبال يوسف من العودة إلى جزيرة الأندلس وقال آخرون: كلا الرجلين أسر حسوا في إرتغاء وان كان ابن عباد أخرى بالصواب[5].

كان باستطاعة المرابطين أن يجنوا ثمرة هذا الانتصار لو إنهم أحسنوا استغلاله وهذا ما تؤكده الروايات التاريخية حتى الأجنبية منها حين تقول "كان حريا" أن تسحق المملكة النصرانية في هذا الوقت القصير لو أنا الظافرين تابعوا سيرهم في الحال.. ولم يترك للنصارى وقت للنهوض من عثرتهم"[6].

المبحث الرابع

عوامل ضم الاندلس الى الدولة المرابطية والخطة التي إتبعها إبن تاشفين في ذلك

The factors of annexing Andalusia to the Almoravid state and the plan followed by Ibn Tashfin in that

المطلب الاول: ظهور الشقاق ابان الحصار لبيط:

لما فرغ ابن تاشفين من موقعة الزلاقة قرر العودة الخطر بقى العودة فورا إلى المغرب وبالرغم من تأكيد صاحب روض القرطاس بأنه لولا ذلك المصاب الفاجع الذي ورد على يوسف والذي يتعلق بوفاة إبنه الأمير أبي بكر سير ما عاد

(1) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص:199.
(2) اشباخ: تاريخ الأندلس يعني المرابطين والموحدين ص 89.
(3) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية ص:61.
(4) أبن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج: 4 ص:139
(5) نفس المصدر: ص139.
(6) اشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ص 89.

بمثل هذه السرعة[1]. فإنه يبدو على ضوء روايات تأريخية أخرى إن وفاة الإبن لم تكن السبب الوحيد الذي حمله على تلك العودة وإنما توجد أسباب اخرى منها: اضطراب الأحوال في المغرب تخوفه من أي ينقلب النصر الذي أحرزه في الزلاقة على هزيمة بسبب إلحاح مسلمي الأندلس بمتابعة الفونس ثم استيائه وتبرمه من الخلافات التي نشبت بين أمراء الطوائف فيما بين أنفسهم وفيما بينهم وبين شعوبهم[2]. وقد كانت تلك العودة المفاجئة فرصة مواتية لالفونس حشد فيها قواته من جديد وغدا" في ظروف تسمح له بالهجوم فبادر باستئناف أعماله الحربية مركزا" اهتماماته هذه المرة على منطقة الشرق الأندلسي حيث إمارات بلنسية ومرسية ولورقة والمرية. ولكي يشدد قبضته على تلك المنطقة عمد إلى إنشاء حصن ضخم وافر المناعة في موسطة بلاد المسلمين يعرف هذا الحسن في الروايات الإسلامية بحصن ليط وقد بلغت حاميته 12 ألفا" من المشاة وألف فارس. وقد اتخذ كمنطلق لشن الغارات على مدن الشرق الأندلسي إنتقاما" من مسلمي الأندلس وخاصة منهم المعتمد بن عباد على الدور الرئيسي الذي لعبه في استدعاء المرابطين إلى الأندلس[3]. وأراد المعتمد ان ينقذ تلك المناطق من الاخطار التي تحدق بها من جراء هذا الحصن ويستولي في نفس الوقت على مرسية وينتزعها من أبن رشيق. ولهذا الغرض أعد جيشا ضخما" لكن هزم ولم يتحقق شيئا" لا نصرا" على الأعداء ولا خلعا" لإبن رشيق ولما باءت محاولاته بالفشل شعر بخطورة الوضع الجديد فلم يجد سوى الالتجاء إلى الأمر يوسف ليطلب منه العبور إلى الأندلس لإنقاذ الموقف. لكن هذه المرة بدلا" من أن يكاتب إبن تاشفين أو يبعث إليه ببعثة رسمية كما سبق أن فعله في المرة السابقة وقرر العبور بنفسه للمغرب طلبا" للاستنجاد[4]. ما يمكن ملاحظة إن قضية الأندلس المسلمة لم تكن هي السبب الرئيسي الذي من أجله عبر المعتمد إلى المغرب لطلبه الإنجاد وإنما دفعته إلى ذلك مطامحه الشخصية والدليل على ذلك محاولته للإطاحة بابن الرشيق واسترداد سلطانه ليس فقط على مرسيه وإنما على سائر ملوك الطوائف أيضا لأنه غدا بعد الحوادث الأخيرة أشدهم خسارة من حيث الهيبة، إن ألامراء الذين كانوا يخضعون له من قبل استردوا استقلالهم[5]. وهناك ملاحظة تانية هي أن أمراء طوائف لم يستغلوا نصر الزلاقة فيوحدوا كلمتهم ويقضوا على الضغائن والأحقاد والمكائد القديمة ويعدوا أنفسهم للجهاد حتى يصرفوا أخطار الصليبيين عند بلادهم وإنما إنصرفوا إلى المنازعات فيما بينهم من أجل المصالح الخاصة وكان في النتيجة ذلك أن عجزوا عن الدفاع عن أنفسهم أمام الأعداء الذين تمادوا في غاراتهم وبخاصة عن حصن ليط.

وفي سنة (481 ه) أعد يوسف قواته وعبر بها المضيق إلى الجزيرة الخضراء ومنها بعث إلى ملوك الطوائف ورؤسائهم يستدعيهم للجهاد وإن يوافوه بقواتهم عند حصن ليط معقل المقاومة النصرانية. ولما اكتملت القوات المسلمة

(1) ابن ابي زرع: روض القرطاس ص:152.
(2) عبد الله عنان: دول الطوائف ص: 329 نقلا" عن كتاب التبيان ص: 107.
(3) إبن أبي زرع: روض القرطاس ص: 152.
(4) ابن ابي زرع: روض القرطاس ص:152.
(5) يوسف اشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ص 90.

التي شارك فيها من جانب امراء الطوائف كل من قوات المعتصم بن صمادح وعبد الله الزيري واخيه تميم وعبد العزيز بن رشيق بالاضافة الى قوات المعتمد بن عباد ضرب الحصار حول الحصن وأستخدم المسلمون مختلف الوسائل لاختراقه أو تحطيم أسواره لكنهم فشلوا في ذلك[1]. كان في نية يوسف أن يحرز نصرا" جديدا" فيضيف بذلك صفحة جديدة الى تاريخ اعماله الجهادية مما يزيد من هيبته ويقوي من معنوياته لكنه هذه المرة فشل في اقتحام الحصن ول يعزى هذا الفشل الى مناعة الحصن وصمود حاميته وانما يعزى ايضا" الى الشقاق الذي نشب بين امراء الطوائف والذي كانت له نتئج سلبية على الجيش الاسلامي المحاصر للحصن فكان كل واحد منهم يكيل التهم للاخر وأتخذوا من يوسف حكما" يفصل بينهم في تلك الخصومات فتيم صاحب مالقه وأخوه عبد الله امير غرناطة كان كل واحد منهما يتهم الاخر بأغتصاب حقوقه في الميراث والسيادة الا أن أهم تلك الاتهامات كانت تلك التي رفعها ابن عباد ضد أبن رشيق حين اتهمه بخروجه عن طاعته بل واتهمه بما هو اخطر من ذلك وهو انه يتعامل مع الفونس في الخفاء وانه دفع اليه جباية مرسيه[2]. ويلاحظ ان أمراء الطوائف عوض ان يوجهوا اهتماماتهم الى صد غارات النصارى ويخلصوا للجهاد والقتال أنصرفوا الى المنازعات فيما بينهم أمام يوسف الذي لم يجد بدا" من إستفتاء الفقهاء في شأن المعتمد وابن رشيق فأفتوا بأزاحة هذا الاخير وتسليمه لخصمه بشرط أن يبقى على حياته[3]. السؤال الذي يمكن طرحه: لماذا انحاز يوسف ابن تاشفين الى ابن عباد في خصامه مع ابن رشيق؟ الجواب على هذا السؤال نستمده من قول يوسف " والاوكد علينا في هذا الوقت مداراة المعتمد حتى ترينا الامور وجوهها[4]. كذلك لا يستبعد ان يوسف قد فعل ذلك خاصة بعد استناده الى احكام الشرع إعتقادا" منه بأن التضحية بحليف صغير من اجل حليف قوي " مدعاة الى تقوية الجبهة الاسلامية في امارة أشبيلية التي اصبحت من سقوط طليطلة منطقة مكشوفة خطرة "[5]. لم يكن هذا العمل الذي قام به يوسف ليرضى أنصار ابن رشيق الذين غادروا المعسكر في جندهم غاضبين وقطعوا المؤن على الجيش المحاصر فكان ذلك سببا في احتلال امر العسكري إذ لحق به الضيق والغلاء[6] ونقصت بإعداده لأن جند إبن رشيق كانوا يشكلون جانبا مهما فيه ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقرار يوسف برفع الحصار عن الحصن قد اثار حفائظ بعض امراء الطوائف وخاصة اولئك الذين قد تقع إماراتهم بالقرب من الحصن إذ رأوا في ذلك تخليا" عن المهمة الجهادية التي من أجلها عبر إلى الأندلس فوقفوا منه موقفا" عدائيا[7]. كانت حملة حصن ليط ذا مناسبة لأبن تاشفين لدراسة الموقف المتردد لأمراء الطوائف ومدى استحكام التنافر والشقاق فيما بينهم من أجل تحقيق أغراضهم الدنيوية، غير اخذين بعين الاعتبار قضية الإسلام والمسلمين.

(1) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ص:69.
(2) نفس المصدر ص:69.
(3) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ص:70.
(4) عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والاندلس ص:108 نقلا عن كتاب البيان ص: 111.
(5) عبد الحق حموش: إبن تاشفين ص:70.
(6) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية ص:70.
(7) مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص: 301.

وبعد أن تيقن بأن هؤلاء الأمراء الذين خف لنجدتهم مرتين متخاذلون وضعفاء ويقفون كحاجز في طريق متابعة مهمته الجهادية عبر البحر عائدا" الى المغرب وقد انتهى الى قرار خطير الا وهو ضرورة ازاحة ملوك الطوائف حتى يتسنى له متابعة الجهاد بالاندلس[1].

المطلب الثاني: العوامل المتعلقة بالغرب والمرابطين:

1-العوامل الدنيوية:

بالرغم من ان معظم الروايا التأريخية تؤكد بأن الأسباب الحقيقية التي دفعت بالمرابطين الى السير في طريق امتلاك الأندلس اغتصابها من أمرائها كانت أسباب دينية أكثر منها دنيوية فأن البعض من تلك الروايات لا تغفل الجانب المادي في الموضوع وتسجل لنا بأن من ضمن تلك العوامل ذلك العامل الطبيعي الذي يضطرم به كل زعيم قوي ومتغلب ألا وهو شهوة الفتح والتوسع[2]. لذلك يمكن القول بأن يوسف ظل تراوده أحلام التوسع لبناء السلطان الباذخ خاصة وأن الدولة المرابطية في عهده كانت في بداية أوجها وعزة مجدها وشموخها السياسي ولما أتيحت له ولجنده المرابطين ولما أتيحت له ولجنده المرابطين فرصة التدخل في الأندلس راقهم ما أشهدوه من خصبها ونعمائها وطيب هواءها. وإذا كان عبد الكريم التواني يشك في ذلك بقوله "ربما لم يكون (أي المرابطين) يفكرون حتى في الاستمتاع بمغانم وخيرات الأندلس. إذا ما اعرنا الاعتبار للتقشف الشديد الذين كان يتمسك به قاعدة المرابطين وزهدهم في مظاهر الدنيا وكل ما أجمع الناس على تسميته رقيا وحضارة مدنية "[3]. فإن نجده في جانب آخر لا يستبعد أن تكون تلك المغانم التي كانت تزخر بها بلاد الأندلس "قد سال لعاب المرابطين"[4].لقد كانت تلك الخيرات والمغانم التي تزخر بها بلاد الاندلس وما ترفل فيه من امكانيات هائلة لبناء ملك شامخ وعظيم كفيلة بأن تدفع بيوسف الى الطمع في ضمها الى دولته. فالروايات التأريخية تحدثنا بأن ما قدمه المعتمد بن عباد لابن تاشفين خلال جوازه الاول الى الاندلس من الهدايا والتحف والذخائر الملوكية.. كان اول اوقع في نفس يوسف التشوق الى مملكة جزيرة الاندلس[5].

وبعد معركة الزلاقة الدامية التي أثبت فيها المرابطون صلابتهم وصمودهم وايمانهم برسالتهم والتي إستشهدت فيها شخصيات بارزة لعبت دورا" اساسيا" في تاطير الجيش المرابطي للذود عن تلك البلاد رأى المرابطون خاصة وأنهم صحراويون قضوا مدة ليست بقصيرة في شظف العيش بأنهم أولى بالتمتع بخيرات تلك البلاد من أمرائها المتخاذلين الذين كانوا السبب فيها وطت اليه من الانحطاط. واذا كان يوسف من جهة يصغر قدر الاندلس ويقول في أغلب اوقاته "كان امر الجزيرة عندنا عظيما" قبل ان نراها فلما رأيناها وقعت دون الوصف "[6]. فأنه من جهة ثانية لا يستبعد ان يكون قد أعجب بتلك البلاد فقط قال " يوما"

(1) عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ص:337.
(2) نفس المراجع ص338.
(3) التواني: ماساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص:312.
(4) نفس المرجع ص: 312.
(5) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص:194.
(6) نفس المصدر: ص: 196.

يوما" لبعض ثقاته من وجوه اصاحبه: كنت اظن أني ملكت شيئا" فلما رأيت تلك البلاد صغرت في عيني مملكتي "[1].

ويستنتج من هذا أن يوسف كان يظهر عكس ما يخفيه أمام امراء الطوائف لكي يتجنب كل مامن شأنه اثارة شكوكهم وليبين لهم غرضه من التدخل في الاندلس إنما هو الجهاد والجهاد وحده.

2-عامل الجهاد:

كان للمبادئ الدينية التي ارتكزت عليها الدعوة المرابطية أثر واضح في توجيه سياسة يوسف إتجاه امراء الطوائف، إذا رأى انطلاقا" من مبدئي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله إن الضرورة تدعو إلى التدخل في الأندلس لإنقاذ الرعية من تعسفات الحكام ولمتابعة الحركات الجهادية ضد النصارى وهذا ما أوردته بعض الروايات التاريخية حيث أصبغت هذا التدخل بصيغة جهادية لكن هذا المظهر الجهاد الديني في عمقه سياسي اقتصادي؟.

المطلب الثالث: العوامل المتعلقة بالأندلس المسلمة:

إذا كان الهدف الرئيسي من تدخل ابن تاشفين في الاندلس هو انقاذ الوجود الاسلامي من الغارات النصرانية ذات النزعة الصليبية فأن الوقوف منذ البداية على حقيقة الاوضاع الاجتماعية والسياسية التي تعيشها الامة الاندلسية في ظل الحكم الطائفي مما جعله يتبرم مما عليه حال اولئك الامراء من خلاف وشقاق وبعد عن الدين. ففي موقعة الزلاقة تبين ليوسف مدى تخاذل أغلبية اولئك الامراء وضعف عقيدتهم الدينية تجلى ذلك في تقاعسهم عن الجهاد في سبيل الله ونصرة الاسلام وقد كشفت احداث الموقعة بان معظمهم جبناء ولا يرغبون في الاستشهاد باستثناء المعتمد بن عباد وجنده الاشبيليون الذين صمدوا في القتال فإن باقي الأمراء قد وهنت عزائمهم وخارت قواهم بمجرد ما وجه النصارى ضرباتهم الأولى إليهم فلاذوا بالفرار مع قواتهم معتصمين بأسوار بطليوس[2]. ولم يعود إلى الميدان إلا عندما رجحت الكفة للمسلمين وظهرت علامات النصر.

وبعد الانتصار العظيم الذي أحرزه المسلمون على النصارى في موقعة الزلاقة كان المفروض أن يكون ذلك النصر بالنسبة لملوك الطوائف دواءا" شافيا" وعلاجا" ناجحا" ويكون بعده انطلاقة كبرى لهم للقضاء على الفونس.

لكن شيئا من ها لم يحدث ا لم يلبث اولئك الامراء سوى قليلا" ثم عادوا الى سيرتهم الاولى المبنية على الانانية والمعاملة السيئة لكل المخالفين لهم حتى ولو كانوا عربا" مسلمين. فالوحدة القائمة وقت الزلاقة وتناسى الأضغان والأحقاد بينهم كل ذلك ضرب به عرض الحائط وعادت التفرقة العميقة الجذور لتسود بينه من جديد ولكن هذه المرة لم يكتفوا فقط بخلافاتهم فيما بينهم بل وجهوا أنظارهم إلى هؤلاء المرابطين تمكنوا بفضل ما حققوه من انتصارات باهرة على النصارى من قلوب عامة الشعب الاندلسي وكيف أصبح في نظره هم الحماة والمنقذين وهالهم اكثر ما بان من قرار يوسف الاحتفاظ بحاميات مرابطية في اهم

(1) المصدر السابق: ص: 204-203.
(2) ابن ابي زرع: روض القرطاس ص:251.

المراكز الاندلسية قصد حمايتها من غارات النصارى وسد الطريق في وجوههم[1]. فكان ذلك القرار ولو إن البعض منهم قد وافق عليه مثار قلق الامراء الشديد ولعلهم ادركوا إن ذلك القرار سيمنح للمرابطين موطئ قدم ثابتة في الاندلس لذلك أقدموا على تبني سياسة المضايقة (مضايقة المرابطين) وكانوا يهدفون من وراءها الى جعل المرابطين يزهدون في الاندلس فيرحلون عنها وبذلك يتخلصون من حليف طامع باهون سبيل "[2]. وقف يوسف على عمل أمراء الطوائف هذا من قائده مكايدة العدو وملازمة الحرب والقتال في أضيق العيش وإنكده وملوك الأندلس في بلادهم وأهليهم في أرغد العيش واطيبه[3].

لقد ولد هذا العمل من جانب امراء الطوائف إستياء في نفس يوسف ومما زاده إستياء ماقدم عليه بعضهم خاصة أنصار ابن رشيق من قطع المدد المؤن عن الجيش المحاصر لحصن لييط فكان ذلك سببا" في تغيير نفسه عليهم[4].

لذلك كان يوسف يستهدف من عبوره الثالث الى الاندلس سنة (483 ه) القيام بمشروع سياسي حاسم الا وهو اقصاء ملوك الطوائف وضم الاندلس المسلمة الى الامبراطورية المرابطية[5]. وقد كان تطبيق هذا القرار بعدما أكتملت الصورة لديه وأستنتج منها ملاحظة مؤلمة وهي أنه ينعدم من بين ملوك الطوائف من يملك المؤهلات الكفيلة لتحمل مسؤولية الحكم والدفاع عن البلاد ولا سيما وانه استطاع ان يطلع على الوضعية السياسية والاجتماعية التي تعيشها الاندلس المسلمة تحت حكم اولى الامراء ويلاحظ من مختلف الروايات التأريخية أن الدوافع التي جعلت يوسف يتخذ هذا القرار مايلي:-

1) الدوافع السياسية: كانت الظروف السيسية للاندلس المسلمة والمتسمة بالضعف قبل وبعد الانشقاق والصراعات التي تنشب من حين لأخر بين ملوك الطوائف واتباعهم سياسة التقارب والخضوع لأمير قشتالة[6]. دون ان يأخذوا بعين الاعتبار المصالح الوطنية والدينية. وخلال جوازه الثاني الى الاندلس سنة (481 ه) أدرك يوسف بأن تخاذل امراء الطوائف كان هو السبب الاول والرئيسي في ما اصاب الوجود العربي من هزات عنيفة مخيفة إجتاحت بعض أسسه وأعماقه وأنه اذا أستمرت الامور في مجراها فسوف تكون النتيجة الحتمية هي سقوط الاندلس المسلمة في يد النصارى.

2) الدافع الاجتماعي والديني: تجلت ليوسف أثناء الجواز الاول والثاني ان اهتمامات ملوك الطوائف بحياة الترف والبذخ وحب الشهرة كانت من الاسباب الاساسية التي أثرت سلبيا" على روحهم الدينية. وقد كانت حياتهم الرغيدة تلك على حساب افرار الشعب الاندلسي. وقد كانت ضياغة المعتمد ليوسف في اشبيلية عندما كان راجعا" من معركة الزلاقة مناسبة للامير يوسف للاطلاع على حالة التبذير لم يكن له علم بها فأنطبعت لديه فكرة وهي أن مستوى

(1) التواتي: ماساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص:300.
(2) عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغب والاندلس ص:103.
(3) المقري: نفع الطيب الجزء السادس ص:104.
(4) أبن ابي زرع: روض القرطاس ص:153.
(5) التواتي: مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ص 302.
(6) نفس المرجع: ص 302.

حياة امراء الطوائف والمعتمد هو نموذجهم هو الذيادى بالاندلس الى ما الت اليه ويورد المقري قولا" لابن تاشفين يحلل به مشاهدته " الذي يلوح لي من أمر هذا الرجل يعني المعتمد انه مضيع لما في يده من ملك لان هذه الاموال الكثيرة التي تصرف في هذه الاحوال لابد ان يكون لها ارباب لا يمكن اخذ هذا القدر منهم على وجه العدل ابدا فأخذه الظلم واخراجه في هذه التراهات من افحش الاستهتار ومن كانت همته في هذا الحد من التصرف فيما لا يعدو الاجوفين متى يستجد همة في ضبط بلاده وحفظها ويصون رعيته وبالتوفير لمصالحها "[1].

اذن يتضح ان القناعات الدينية للمرابطين لم تكن لتقبل استهتار امراء الطوائف بكل ما هو انساني ومقدس ونبيل حين أغرقوا البلاد في بحر من الخلاعة والمجون وحين فرضوا على شعوبهم ضرائب ومغارم تتنافى وما اقرته الشريعة الاسلامية كل هذا التصرف اعتبره المرابطون منافيا" للاخلاق الاسلامية ويمس بالتشريع الاسلامي من الناحية الحالية.

3) الدافع الاستراتيجي: كان يوسف يدرك تمام الادراك ان الاندلس المسلمة مهددة بالسقوط في يد المسحيين ان لم يعمل على تدارك الموقف قبل استفحاله فدول الطوائف الضعيفة المتخاذلة لا تستطيع في ظل امرائها الخانعين دفاعا" عن نفسها.وان تخلى عنها سوف تسقط حتما" في يد ملك قشتالة القوي بل ان اطماع الفونس والمسيحية الاسبانية بصفة عامة لن تتوقف عند حد الاستيلاء على الاندلس وانما ستتطور الى تهديد المغرب بحكم موقعه القريب الى الاندلس متى إجتمعت قواها وتوفرت لديها وسائل العدوان ومن ثم قرر يوسف بأن يبادر الى ضم الاندلس المسلمة الى دولته لينقذها من الخطر المسيحي الداهم وليدعمها ويضاعف اهبتها الدفاعية ويمكنها من تأدية مهنتها الاستراتيجية باعتبارها واجهة الدفاع الامامية عن المغرب في رد عامة العدوان لا عن نفسها فقط ولكن عن المغرب ايضا"[2].

المطلب الرابع: الخطة التي اتبعها يوسف في اقصاء ملوك الطوائف:

عامة بناءا" على الاعتبارات التي سبق ذكرها عبر يوسف الى الاندلس سنة (483 ه) دون علم ملوك الطوائف وكانت عودة الخلافات العلنية بين الامراء الاندلسيين والامارات المسيحية وقد وطته[3]. ومن ثم لم يكن هذا الجواز بطلب رسمي من اي امير طائفي كما سبق في الجوازين السابقين بل ان لمرابطين قرروا تحمل مسؤوليتهم الدينية والسياسية سواء ازاء الاوضاع داخل الاندلس الاسلامية او ازاء مواجهة الخطر الاسباني المسيحي وكان يوسف قد تيقن ان الدفاع عن حوزة الاسلام في الاندلس لا بد وان يقرر في عين المكان بدء بتحرير الاندلس على سلامة الدولة ورأ ى يوسف انه ليس هناك مانع من استخدام القوة والبطش ضد ملوك الطوائف. بأعتبارهم عناصر الفساد ومنابت السوء إذا كان لابد من استخدام ذلك وبخاصة إذا اتخذت كل وسائل المسالمة ولم تجد نفعا" وسيترتب عنها ضياع الاسلام والمسلمين. وكي يبرر ابن تاشفين قراره المتعلق بأقصاء ملوك الطوائف ويضفي عل طابع المشروعية عمد الى طلب رأ ي

(1) المقري:نفح الطيب ج:6 ص:108-109.
(2) عبد الله عنان:دول الطوائف منذ قيامها وحتى الفتح المرابطي ص 339.
(3) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية ص 71.

الفقهاء في هذه القضية وعلى رأسهم الامامين: الغزالي والطرطوشي أشهر أئمة الاسلام في لك الفقرة[1]. وقد أصدر هؤلاء الفقهاء فتاوي فقهية تجيز ليوسف عملية اقصائهم وتحمل ملوك الوائف مسؤولية الاوضاع المتردية في الاندلس.

أما المنطلقات التي اعتمد عليها يوسف في اكتساب تأييد الفقهاء هي سلوك أمراء الطوائف المافي لما أقره الدين الاسلامي الخارج عن تعاليمه والمتعلق بأثقال كاهل الشعب الاندلسي المسلم بالضرائب وغالبا" بلطرق الغير الشرعية هذا بالاضافة الى اتصالهم بالقوى المسيحية وعلى رأسها الفونس السادس يستعدونه على الاسلام والمسلمين. وهكذا يكون يوسف قد إختار الاسلوب الديني في تصرفه ليبعد عنه تهمة التسلط السياسي. ولكي يبين للجميع بأن هدفه الاساسي من عبوره الثالث هو الجهاد فقد سار بقواته الى طليطلة لمحاولته الاستيلاء عليها دون أن يتقدم احد من ملوك الطوائف لمشاركته في الجهاد هذه المرة بل كانوا يومئذ يرقبون حركات المرابطين جزعين اشد الجزع على سلامتهم[2]. ويتضح من هذا ان امراء الطوئف قد أحسوافي اعماقهم بتغير يوسف عليهم فهو لم يستدعيهم لمهاونته ولم يستنفرهم للجهاد وهو عكس ما فعله في جوازه الاول والثاني الى الاندلس ومن ثم ظل أمراء الطوائف مضطربين في أنفسهم يراقبون ماستكشف عنه الاحداث. ولما فشل يوسف في الاستيلاء على طليطلة عرج بجيشه على غرناطة للانتقاء من حاكمها عبد الله بن بلكين الذي عاد الى محالفة الفونس ومعاونته بالمال[3]. وقد اختلفن الروايات التاريخية في تصوير الطرسق التي تم بها الاستيلاء على غرناطة الا ان المهم من ذلك هو ان يوسف تمكن بفضل ما أوتي من حنكة سياسية وتجارب عسكرية من القبض على عبدالله بن بلكين وارساله مع اخبه تميم صاحب مالفة سجنيين الى المغرب وبذلك تكون قد سقطت اول مملكة من ممالك الطوائف في يد يوسف ويبدو ان يوسف لم يخف رغبته الاكيدة في اقصاء ملوك الطوائف وما أعرضه عن المعتمد بع عباد المتوكل بن الافطس لما جاء ليهنأئه بفتح غرناطة الا دليلاً واضحا على ذلك. وتذكر الروايات ان المعتمد نفسه قد شعر بنوايا يوسف وادرك حقيقة الامر حين نبه زميله ابن الافطس قائلا: والله لابد ان يسقينا من الكأس ابلتي سقى بها عبد الله بن بلقين[4].بعد ان سقطت غرناطة في يد المرابطين اوعز يوسف الى قائده سير بن ابي بكر بأن يهتم بتدبير شؤون الاندلس وافتتاح ما تبقى من ممالطك الطوائف ثم عبر يوسف الى المغرب ليبادر بارسال المزيد من الجيوش الى الاندلس ولما كان على المرابطين ان يحاربوا في عدة واجهات فقد سير يوسف اربعة جيوش في وقت واحد كل منها تحت امرة قائد خاص لتقاتل امراء الاندلس ولتحول دون اجتماع قواهم في اي مكان ولتقضي على سلطانهم بأسرع وقت[5].وبقي يوسف في المغرب يتتبع الاحداث وسير المعارك عن كثب على رأس جيش احتياطي

(1) سافر محمد إبن العربي المعافري الى المشرق واجتمع في بغداد بالغزالي وغيره من العلماء واستطاع في النهاية ان يستصدر فتوى من الغزالي تجيز ما عمله يوسف في ملوك الطوائف.
(2) أشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين الموحدين ص:93.
(3) أشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص:93.
(4) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية ص71 و72
(5) أشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص:94.

لكي يقوم عند الحاجة بانجاد هذا الجيش أو ذاك[1]. والملاحظ إن الجهود المربطية والعسكرية وجهت بعد سقوط غرناطة الى اقوى الامارات الطائفية وهي امارةبني عباد هنا نتسأل كيف انقلب ما كان بين المعتمد ويوسف من مودة الى عداوة خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار ان المعتمد كان المدافع الاكبر عن فكرة الاستنجاد بالمرابطين بالاضافة الى تضحياته وبلائه الحسن في المغرب[2].

بالرغم من بعذ الجوانب الايجابية التي كانت للمعتمد كتزعمه لفكرة الاستنجاد بالمرابطين عندما اوشكت الاندلس على السقوط في يد النصارى وتحديه لمعارضيه في هذه الفكرة وخاصة عبد الله بن السكون ثم تضحيته ببعض الحصون وجعلها رهن تصرف يوسف اضافة الى صعوده في موقعة الزلاقة فأنه كان مثقلا" بتبعات سياسته الجائرة الخارجة عن تعاليم الاسلام ولم تخفه على يوسف نوايا المعتمد في تحقيق مطامحه الشخصية من البداية الا أنه لم يرد ان يصفي حساباته معه الاول وهلة لانه كان بحاجة اليه في تلك الظروف العصيبة التي كانت تجتازها الاندلس لكن عندما جاءت الفرصة المواتية قرر يوسف بأن تصوب اليه الضربة الاولى فيقضي سقوطه حتما" الى سقوط الاخرين[3]. ولم يتورع المعتمد حين احس بخطر المرابطين في ان يطلب مساعدة الفونس فأرسل هذا الاخير عمليه لنجدته لكنها منيت بالفشل فأستولى المرابطون على امارة بني عباد واعتقلوا المعتمد وارسلوه مع اسرته الى المغرب. بعد ذلك توجهت الجيوش المرابطية صوب المغرب حيث إمارة بني الافطس الذين دخلوا بدورهم تحت طاعة الفونس وتجاوزت علاقاتهم مع من مجرد دفع الجزية والتحالف العسكري الى حد التنازل له عن بعض الحصون لذلك بادر المرابطون الى اقصاء بني الافطس والاستيلاء على اماراتهم سنة (488 ه) [4]. وفي شرق الاندلس واجه المربطون عدة امارات طائفية دخل معضمها تحت حماية النصارى وتمكنت القوات المرابطية من اخضاعها بعد معارك عنيفة فضم غرناطة ومالقه ومرسيه ودانية[5]. وهكذا لم يكد ينتهي القرن الخامس الهجري حتى كانت امارات الطوائف قد سقطت في ايدي المرابطين بأستثناء امارة بني هود التي إحتفظت باستقلالها والتي فضل يوسف عدم اخضاعها مقتنعا" بما كاتبه به المستعين بن هود ومما جاء في مكاتبته " نحن بينكم وبين العدو سد لا يصل ليكم من ضرر ومنا عين تطرف وقد قنعنا بمسالمتكم فأقنعوا منا بها الى ما نعينكم به من نفيس الذخائر [6] وقسمها الى ست ولايات هي اشبيلية وغرناطة وقرطبة وبلنسية ومرسية وسرقسطة. وما ان حلت سنة 498 ه/1104 م حتى مرض يوسف بن تاشفين واصابه الضعف واستمر على هذا الحال حتى توفي سنة 500 ه/1106 م في مراكش[7].

(1) أشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص:95.
(2) ابن ابي زرع: روض القرطاس ص:150.
(3) أشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص:94.
(4) عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ص: 369
(5) نفس المرجع ص: 368
(6) مؤرخ مجهول: الحلل الموشية ص: 73،74.
(7) غسان، المصدر السابق ص371.

الخاتمة:

يلاحظ من خلال الدراسات التي احطناها بموضوع العلاقة السياسية بين تاشفين وملوك الطائف ان هذه العلاقة قد مرت بمراحل مختلفة تمر فيها بين ثلاث مراحل اساسية: -

1-مرحلة الحذر المشوب بالخوف.

2-مرحلة التحالف بين الجانبين (ملوك الطوائف والمرابطين).

3-مرحلة العداوة.

في المرحلة الاولى كانت الوضعية المتدهورة في بلاد الاندلس المسلمة في ظل حكم امراء الطوائف فرصة مواتية للنصارى لتوجيه ضرباتهم الى مسلمي الاندلس وتطوير سياساتهم تجاههم من مجرد تقاضي الجزية الى مطالبة بتسليم الحصون والثغور وقد ساعدهم على تقوية سياساتهم التوسعية هذا الانشغال امراء الطوائف بالمنازعات فيما بينهم الى ان انهارت قوتهم العسكرية فاصبحوا عاجزين عن تصدي لغارات النصارى واصبحت الاندلس المسلمة على وشك الوقوع في أيديهم. وفي الوقت الي ضعفت فيه عزيمة امراء الطوائف الدينية وتقوت تلك التي عند النصارى بفضل النزاعات الصليبية التي كانت تذكيها والتي كانت تنادي باسترجاع ما ضاع من الاندلس الى حضيرة النصرانية.

وقد تزامنت هذه الاحداث مع نشوة وتطور قوة اسلامية كبيرة في المغرب اكتسبت قوتها من المبادئ الدينية التي ارتكزت عليها والتي اولتها اهتماما بالغ في سياستها فضلا" عن اعتمادها على عصبية قوية تلك هي الدولة المرابطية.

وكانت الفترة التي كانت فيها الاندلس مسلمة تعيش وضعية مزرية وكان اهم مظاهرها التمزق السياسي وبدأت مساحتها تتقلص ويقابلها في المغرب فترة توسع لاغلب المناطق تحت قيادة واحدة مثل يوسف بن تاشفين العنصر الاساسي فيها حيث استطاع ان يخضع المغرب الأقصى، والجزء المغربي من المغرب الاوسط ولما أطلت دولته على البحر المتوسط أخذت أنظاره تتطلع الى الاندلس. وسواء كان ذلك بدافع الجهاد أو بدافع التوسع، وتقوية النفوذ فأن المرابطين كانوا يتبعون احداث الاندلس بكل اهتمام وتحتم عليهم ان يتخذوا من الاوضاع التي كانت تعيشها الاندلس المسلمة موقفا" معينا" إنطلاقا" من المبادئ الدينية التي تبنوها والتي يعتبر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك الجهاد في سبيل الله ونصرة الاسلام من اهميتها. ففيما يخص المبدأ الاول كان لزاما" على المرابطين ان يتدخلوا في الاندلس لتهي امراء الطوائف عن الخلافات فيما بينهم والحد من الغارات التي يشنها بعضهم على بعض حقنا لدماء المسلمين وسعيا" وراء تحقيق الوحدة والتكتل ثم امرهم بالمعروف ونهيهم عن سياساتهم الخارجة عن تعاليم الاسلام. أما بالنسبة للمبدأ الثاني وهو الجهاد في سبيل الله فقد كان واجبا" على المرابطين متابعة حركاتهم الجهادية بأعتبارها من الواجبات الشرعية لذلك عزموا على العبور الى الاندلس لكن امراء الطوائف رأوا في ذلك العبور خطرا" يهدد مصالحهم لذلك بادروا بالكتابة الى يوسف يطلبون منه أن يعرض عنهم وتريث بعد أن كان فيما قيل متحمسا" للعبور الى الاندلس. ويبدو أن رسالة أمراء الطوائف الى يوسف كان لها وزنها في هذا التريث فكان على

الامير يوسف أن يحسب للامر حسابه لذلك ظلت العلاقة بين الاندلسيين والمرابطين تتميز بالحذر المشوف بالخوف. وفي المرحلة الثانية تحولت العلاقة بين الجانبين من الحذر الى التحالف فقد كان الموقف الذي اتخذه أمراء الطوائف من عزم المرابطين على العبور الى الاندلس يحمل أعظم الاخطار على الوجود العربي الاسلامي في تلك البلاد اذ شجع النصارى على تقوية هجوماتهم على الامارات الاسلامية فأصبحت الاندلس على وشك الوقوع في أيديهم فلم يجد امراء الطوائف امامهم سوى الالتجاء الى المرابطين وطلب نجدتهم.

ويظهر أنه لولا شعورهم بخطورة الوضع وعجزهم عن الوقوف في وجه النصارى لما أثروا الاستظلال بالمرابطين والتحالف معهم ضد النصارى وفي المرحلة الثالثة طورت العلاقات بين امراء الطوائف والمرابطين وانقلب ما كان بينهم من تحالف الى عداوة كانت نتيجتها النهائية هي سقوط الاندلس المسلمة في ايدي المرابطين وضمها الى دولتهم. ولعل ان العامل الديني كان اهم واقوى ن العامل الدنيوي في حمل يوسف على أفتتاح ممالك الطوائف وضمها الى دولته. فأذا نظرنا الى ذلك الضم من زاوية دينية نجد بأن يوسف كان مضطرا" الى إقصاء الطوائف لانهم يتحملون المسؤولية الاولى فيما وصلت اليه الامة الاسلامية في الاندلس من الانهيار من جهة ومن جهة ثانية لان وجودهم كان يشكل خطورة على الوجود العربي الاسلامي لذلك كانت الضرورة تدعو الى ازاحتهم حتى يتأتى ليوسف مواصلة حركاته الجهادية ض النصارى. ويتضح ان يوسف لم يفصح عن قرار بضرورة تنحيه امراء الطوائف الا عندما جاز الى الاندلس المرة الثالثة ساعد على ذلك فتاوي الفقاء ونصائح اهل الرأي لكن الم يكن قرار الضم قد خطط له منذ البداية وان يوسف كان يتحين لفرصة الملائمة لتنفيذه.

قائمة المراجع والمصادر

المصادر:

1-ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ج:3 ط2 (1400ه – 1980 م) تحقيق ومراجعة ج.س كولان وأ. ليفي بروفنسال دار الثقافة بيروت – لبنان.

2- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في اخبار الاندلس المغرب ج:4 دار الثقافة بيروت – لبنان الطبعة الثانية 1400ه -1980 م.

3-علي ابن ابي زرع الفاسي: الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة خاس دار المنصور للوراقة والطباعة الرباط .1972

4- احمد بن محمد المقري التلمساي: نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب المجلد تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد دار الكتاب العربي بيروت – لبنان.

5-عبد الواحد المراكشي:المعجب في تلخيص اخبار المغرب تصحيح وتعليق وتقديم محمد سعيد العريان ومحمد المغربي العلمي ط:7-978 دار الكتاب الدار البيضاء.

6-لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام وما يجر ذلك في شجون الكلام تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال بيروت 1956.
7-مؤرخ مجهول: الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية تحقيق الدكتور سهيل زكار والاستاذ عبد القادر زمامه ط:1 (1399ه-1979 م) دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء.
8-ابراهيم محمد الجمل: أمير المسلمين يوسف بن تاشفين نشر دار الشعب.
9-ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية: ترجمة الدكتور السيد الباز العريني: 1-1967 م دار الثقافة – بيروت.
10-سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والاندلس عهد يوسف بن تاشفين امير المرابطين دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت ط:1 1405- 1985 م)
11-عبد الحق حموش: ابن تاشفين دار الكتاب الدار البيضاء.
12-عبد الكريم التواني:ماساة انهيار الوجود العربي في الاندلس مكتبة الرشاد الدار البيضاء 1967.
13-ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الاندلس ترجمة قرقوط.
14-محمد بن عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ط:2 1969 مكتبة الخانجي.
15-يوسف اشباخ: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ترجمة عبد الله عنان ط:2 مؤسسة الخانجي القاهرة 1958 م.

Political relations between Yusuf bin Tashfin and the kings of the sects in Andalusia (478-500 AH/ 1084-1106 AD)

Assoc. Prof. Ammar Abdel Rahman Husse
College of Science/ Al-Mustansiriya University
Ammarme74@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract:

The political relations of Ibn Tashfin and the kings of the sects in Andalusia, which began to influence since the year (478 AH/ 1084 AD), are considered one of the most important events in the mentioned period because of the military and political events and movements and their impact on the Andalusian arena in particular As well as relations with the Christian kings, who were trying to seize any opportunity to pounce and control Andalusia, and perhaps Yusuf bin Tashfin and his victory in the battle of Zallaqa has limited these sorties, but they were always lurking, as well as the stage of control over Andalusia and the division of the states into six main. The power and control of Ibn Tashfin in Andalusia showed how the kings of the sects were subjugated and controlled the Andalusian cities, so that these political relations ended in the year (500 AH/ 1106 CE), the year of the death of Yusuf bin Tashfin.

Keywords: political relations, Yusuf bin Tashfin, the Taifa Kings, Andalusia.